



عَلَى اسوار الجزيرة العربية



عَلَى السُّورِ الْخَبْرَةَ الْعَبْرَةَ

الدكتور محمد راجوادي

عَلَى اسْوَارِ الْبُرْجِ الْحَمِيرِ





الطبعة الأولى

1442 - 2020

ISBN 978-625-7682-19-0



إهداء

إلى الصديق الكريم
الأستاذ الدكتور حمدي قنديل
تحية لكل الذكريات النبيلة

هذا الكتاب

هذه مجموعة من الفصول التاريخية التي تحاول أن تستبطن بعض جوانب التاريخ العربي المعاصر لتستبصر ذلك التاريخ بعد أن اتضحت كثير من زوايا المعالم الخفية التي أثرت في صياغة رواياته من دون أن يصرح بوجودها الفاعل نفسه بالجواهر في حقيقتها، ومن ثم فإنه في أحيان غير قليلة ظهرت الخيانة على أنها كفاح، وظهر الجهاد على أنه حماقة، وظهر الولاء على أنه رجعية، وظهرت الحماسة على أنها حماسة، وظهرت الحماسة على أنها حماقة، كما ظهرت العمالة على أنها وطنية كما ظهرت الوطنية وكأنها عمالة.

ومن الملاحظ أن بعض أصحاب هذه المواقف لم يكن يعنيه أن يحافظوا على صورتهم في المستقبل لكنهم كانوا حريصين على صورتهم في وقتهم، وهكذا استطاعوا النجاح لكنهم لم يصمدوا أمام أضواء التاريخ الكاشفة، ومع هذا فإن النفس البشرية تدلنا على مفارقة فيما يتعلق بنا نحن العرب ذلك أن بعض من انخدعوا في الماضي يفضلون أن يظلوا أسرى للانخداع بدلاً من أن يواجهوا الحقيقة بل إنهم في ظل هذا " الأسر الاختياري " يفضلون أن يتهموا المخلصين بالزور بدلاً من أن يعترفوا بانخداعهم في المزورين والمزيفين.

لا تقف هذه الفصول كثيراً عند هذا الجدل المعرفي ولا النزاع السياسي الفكري لأنها تدرك أنها لا تستطيع أن تحسمه إلا إذا استطاعت أن تدل القارئ على قراءة متعمقة للأحداث مع الحرص البالغ على الالتزام الخلقي بالصواب والصدق ومع الحرص على التزام خلقي آخر لا يخلط الأوراق، ولا يقدم النتيجة على السبب، ولا يصطنع الأدلة المزورة ليسند بها الآراء المنحازة.

في حديثنا عن العراق نتناول سيرة الرؤساء الذين تولوا المسؤولية الأولى عن العراق ما بين الملك فيصل الثاني الذي قتل في ١٩٥٨ والرئيس صدام حسين الذي تمكن من السلطة تماماً بعدها بعشرين عاماً مع أنه كان قد بدأ محاولاته للوصول إلى السلطة مع نهاية عهد الملكية حتى انه شارك في ١٩٥٩ في محاولة لاغتيال عبد الكريم قاسم، ومن إحقاق الحق ان نقول ان عشرين عاماً من تاريخ العراق تبدو

وكأنها تمثل دهرأ كاملاً من الصراع الفكري والحركي ومن التفاعل السياسي والايديولوجي .

ومن الإنصاف لهذا الكتاب أن نقول إنه بذل جهده في استكناه الحقيقة ثم في تصويرها على نحو دقيق حتى وإن بدت هذه الحقيقة متلونة بالأدب و القراءة النفسية و الفهم البيولوجي ، و لم لا ونحن نجد أنفسنا نطل بكثير من الحقائق المفهومة لا الغامضة على نظر القارئ من خلال الفصول الأربعة التي تناولنا فيها أربعة زعماء عراقيين متتالين : عبد الكريم قاسم ، وعبد السلام عارف ، وعبد الرحمن عارف ، وأحمد حسن البكر. ومع أن علاقة هؤلاء الأربعة بمصر والنظام الناصري بدت مسيطرة على الحديث عنهم فقد كان هذا مدخلاً طبيعياً بل كان مدخلاً ذكياً لرسم صورتهم ، ولأخذ اللقطات المكونة لهذه الصورة حين يرسمها الفن المتأمل الذي هو منتبه مع تأمله إلى أننا أصبحنا نعيش عصر الصورة ثلاثية الأبعاد وربما رباعية الأبعاد في بعض الأحيان.

ومن فضل الله علينا فيما نعتقد أننا وصلنا إلى مفاتيح هذه القراءة التي قدمناها لتاريخ العراق في هذه السنوات العشرين من خلال أربعة أبطال (بلغة المسرح) وهي قراءة هادئة وهادية وكفيلة بأن تطلعنا على المسرحية العربية في أبعادها التي كانت أقسى بكثير من ان يتحملها ذلك الجيل الذي عاشها وخرج منها كل انسان عربي صادق مع نفسه شهيداً أو معذباً أو محطماً أو ذاهلاً أو هارباً في أيسر الأحوال.

نتأمل تاريخ اليمن على نحو مناظر فنذكر حجم المناعة التي اكتسبها الانسان اليمني العربي الحر من ثقافته الاصلية، وهي مناعة متجددة كما انها متأصلة ، وقد جعلته هذه المناعة قادراً على أن يذيب كل السموم التي فرضت عليه بأقسى الطرق الفيزيائية والميكانيكية من النثر و البخ و الرش والتسليط والحقن والإشعاع ، ونجد أنفسنا أمام ثلاثة زعماء وطنيين ورابع ماركسي فنحس فيما نعرفه عن تاريخ اليمن بالفارق الضخم بين الطبيعة والتشويه ، وبين الاصاله والماكياج ، وبين الجذور والملصقات.

كذلك نتأمل في قصيدة الإمام أحمد فنتعجب من أن يكون في الأمة من يستطيع أن يتمثل واقعها المر على هذا النحو ثم يفضل أن يعالج الأمر باللين، وأن يترك الجهل قادراً على أن يسند المغامرة فيظلم اليمن وأهل اليمن، لكننا مع هذا لا نستطيع

أن نبرئ السمات غير الناضجة والقاصرة في المقاربة المصرية لليمن ولأزمة اليمن التي كانت كفيلة في حد ذاتها بانتهاء جذوة الناصرية إلى أسوأ المصائر.

ننتقل نقلة ثالثة إلى تأمل طراز الجاسوسية المطورة في بلاد العرب من خلال شخصيتين بلغتا أقصى درجات التأثير الشيخ عبد الله فليبي الذي امتد نفوذه في ثلاث بلاد عربية إلى حدود لا يتخيلها عقل، والجنرال جلوب الذي اختاره العرب ليقود بعضهم إلى الهزيمة الردية والرزية والمزرية في ١٩٤٨ وما بعدها.

ونحاول في قراءة تاريخ هاتين الشخصيتين أن نلمس أوتار حب العرب للانخداع بل ونزعة جبر التكرار التي لا تزل تدفعهم دفعا إلى الارتداء في الأحضان التي لا يجوز لهم عقلاً أن يرتموا فيها لولا ان سياستهم تعمد من باب التذاكي إلى تفضيل ردود الفعل المتناقضة على المنطق، من باب الحرص على اثبات الوجود من ناحية، وإجهاض التوقع من ناحية ثانية، والتمايز من ناحية ثالثة، وإرضاء نزعات الشر بالانتصار على الأخ القريب من ناحية رابعة. وفي مقابل هذا نقدم نموذجا (من نماذج عديدة) لشخصية عربية ذات سمعة هادئة، هو السفير الشيخ حافظ وهبة الذي قدر له أن يهدي خبراته وخدماته للكويت و للسعودية بأمانة وإخلاص و تجرد.

ثم نقدم في الباب الرابع نموذجا و سريعا و معبرا عن الأسوار البعيدة للجزيرة العربية متمثلة في إندونيسيا ، ونلخص للقراء تجربتها الزاهرة مع الديمقراطية ثم تجربتها المرة مع الديكتاتورية .

نؤمن فيما كتبناه في هذا الكتاب وما كتبناه من قبل في كتبنا المتصلة به : "سوريا ولبنان قبل الناصرية والناصرية"، و "الفلستينيون ينتصرون أخيرا" "البصيرة والحصار" و "ظاهرة الحقد على الذات" و"أصداء الربيع العربي" بأن المستقبل القادم لأمتنا سيكون باذن الله أكثر وطنية، وأكثر إسلاماً، وأكثر تديناً، وأكثر تنمية، وأكثر رخاء، وأكثر تقدماً، وأكثر تحضراً، وأكثر شفافية ، وأكثر استنساءة ، وأكثر تنويراً، وأكثر ارتقاء ، لكننا نؤمن في الوقت ذاته بأن مجتمعاتنا ستدفع أثماننا باهظة وسريعة من أجل هذا، وإن كانت هذه المجتمعات لا تزال تفضل الخيارات غير ذات الشوكة ، وتستنيم الى هذه الاختيارات تحت دعاوى تبدو جاذبة من قبيل الحكمة والتعقل والتصبر والتسامي والإنسانية وما إلى هذه الدعاوى كلها .

أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفذ به ، وأدعوه جل جلاله أن يوفقني إلي تقديم ما تبقى من أعمالي ، وقد طال العهد بتجاربها الطبيعية في ظل غربتي ومرضي و تشردي و استيحاشي ، والوقت لا يسعني، والجهد يتضاءل، والذكاء يخبو ، و الألمعية تنطفئ ، والقلب يئن ، والنظر يكل ، والعقل يتشتت ، والذاكرة تتبدد ، و السهل يتعقد ، والنفس يتقطع ، والأمل يتضعف، والعمر قصير، والواجب كبير ، والمؤجل كثير ، لكن رجائي يتضاعف في فضل الله جل جلاله وكرمه .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يقيني شر الهوى، وأن يقيني شر التعجل، و شرور العجز و الكسل و الوهن ، وأن يقيني شر الانخداع، وأن يرزقني الغنى والهدى والعفاف والتقى، وأن يتجاوز عن سيئاتي، وأن يتغمدني برحمته، وأن يديم عليّ توفيقه، وأن يجعلني قادرًا على شكر فضله .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يمتعني بسمعي وبصري وقوتي ما حييت، وأن يحفظ عليّ عقلي وذاكرتي وحدسي و ذائقتي، وأن يجعل كل ذلك الوارث مني .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يهديني سواء السبيل، وأن يرزقني العفاف والغنى، والبر والتقى، والفضل والهدى، والسعد والرضا، وأن ينعم عليّ بروح طالب العلم، وقلب الطفل ، وإيمان العجائز، ويقين الموحدين، وإخلاص المؤمنين ، وعطاء المحسنين ، وشك الأطباء، وتثبيت العلماء ، وخيال المبدعين ، وتساولات الباحثين .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يعينني على نفسي، وأن يكفيني شرها، وشر الناس، وأن ينفعني بما علمني، وأن يعلمني ما ينفعني، وأن يمكنني من القيام بحق شكره وحمده وعبادته، فهو وحده الذي منحني العقل، والمعرفة، والمنطق، والفكر، والذاكرة، والصحة، والوقت، والقدرة، والجهد، والمال، والقبول، وهو جلّ جلاله الذي هداني، ووفقني، وأكرمني، ونعمني، وحبب فيه خلقه، وهو وحده القادر على أن يتجاوز عن سيئاتي وهي ، بالطبع ، وبالتأكيد : كثيرة ،ومتواترة ،ومتنامية، فله سبحانه وتعالى - وحده - الحمد، والشكر، والثناء الحسن الجميل

د . محمد الجوادي

الباب الأول العراق

الفصل الأول عبد الكريم قاسم

الماركسي الذي أشعل النار في الناصرية فأضاء طريق البعث

الرئيس عبد الناصر أخلص في عداوته لعبد الكريم قاسم

لم يلق أحد من الزعماء العرب من هجوم الرئيس جمال عبد الناصر المتواصل قدر ما لقي الرئيس عبد الكريم قاسم (١٩١٤ - ١٩٦٣) الذي كان رجل العراق الأول (١٩٥٨ - ١٩٦٣) فقد سلط الرئيس جمال عبد الناصر مدفعيته الإعلامية بالليل والنهار على الرئيس عبد الكريم قاسم واشترك الرئيس جمال عبد الناصر بنفسه في توجيه القذائف التي لم يعهد التاريخ أن يتولاها الرؤساء والملوك بأنفسهم لكن الرئيس عبد الناصر تمادى كثيرا في عداوة الرئيس عبد الكريم قاسم وأخلص لمعركته المعادية هذه كما لم يُخلص في معركة العداوة مع أي إنسان آخر. ومع أن الرئيس جمال عبد الناصر هاجم الملك سعود و الملك فيصل و الملك حسين بقسوة لفترات من الوقت فإن علاقته بهم انتهت إلى الوفاق، وإلى ما هو أكثر من الوفاق حتى لو كان في هذا الوفاق بعض النفاق ، أما علاقته بالرئيس عبد الكريم قاسم فلم تنته إلا بموت الرئيس عبد الكريم قاسم حين حُكم عليه بالإعدام في ذلك اليوم الذي انقلب عليه فيه زملاؤه.

بالتحليل السيكولوجي لموقفه كان مصيبا ومعذورا

من باب علم النفس أو السيكولوجي ، فقد كان الرئيس جمال عبد الناصر مُصيبا في موقفه من الرئيس عبد الكريم قاسم ، فقد كان الرئيس عبد الكريم قاسم أكثر منه ثقافة وأكثر منه ارتباطا بالحركة الشيوعية الدولية لأنه كان شيوعيا مُنظما وماركسيا حقيقيا ولم يكن يرتدي عباءة زعيم وطني اضطرته الظروف إلى أن يستعين بالسوفييت من باب الاضطرار.

كان الرئيس عبد الكريم قاسم أكبر في السن من الرئيس جمال عبد الناصر بأربع سنوات ، لكنه كان في ماضيه العسكري قد وصل إلى ما لم يصل عليه الرئيس جمال عبد الناصر ، ونجا مما لم ينجُ منه الرئيس جمال عبد الناصر مما يؤدي تاريخ العسكريين على وجه الخصوص فيما يتعلق بعلاقتهم بالمعارك.

الظروف كانت تهيئ للرئيس عبد الكريم قاسم حاضرا لا يقل مجدا

كانت كل الظروف تهيئ للرئيس عبد الكريم قاسم حاضرا لا يقل مجدا عن الرئيس جمال عبد الناصر لولا أنه وُجد في وطن حافل بالقدرة على الفهم والجدل والاختلاف على حد وصف الحجاج بن يوسف ، وهكذا كان الرئيس جمال عبد الناصر محظوظا بشعب صبور كالشعب المصري ، على حين كان الرئيس عبد الكريم قاسم أقل حظا مع شعبه الذي يعتبر المعارضة صفة من صفاته الأولى، ومع هذا فقد كانت المعركة بين الرجلين تُبشّر بما لم يكن المنطق يُبشّر به.

الرئيس عبد الناصر فوجئ مفاجأة مبهجة بثورة العراق

ظهر الرئيس عبد الكريم قاسم على ساحة العمل السياسي في وقت الذروة من مجد الرئيس جمال عبد الناصر حين دانت له دولة الوحدة التي كانت قد تأسست قبل أقل من خمسة شهور (أُعلنت الوحدة في ٢٢ فبراير ١٩٥٨ وقامت ثورة العراق في ١٤ يوليو ١٩٥٨)، وعلى ما هو متاح في كل الأدبيات الناصرية المنضبطة ، فإن الرئيس جمال عبد الناصر فوجئ بثورة العراق وبدا كما لو أنه لم يكن مستعدا لنصر أو زهو من هذا النوع المفاجئ..

دولة الوحدة جعلت الرئيس عبد الناصر على حدود الناتو

كانت دولة الوحدة قد جعلت الرئيس جمال عبد الناصر بين عشية وضحاها على حدود الناتو نفسه، ذلك أن لسوريا حدودا لا يُستهان بها مع تركيا التي هي عضو في حلف شمال الأطلسي "الناتو" ومع أن تركيا لم تؤذ الرئيس جمال عبد الناصر في أي شيء، ومع أن عدنان مندريس وقف أوتوماتيكيا مع الرئيس جمال عبد الناصر ومصر في العدوان الثلاثي في ١٩٥٦ فإن الرئيس جمال عبد الناصر كان حريصا على أن يتظاهر بالعداوة مع تركيا وكان يتحرش بتركيا بكل ما يمكن من التحرش لا لشيء إلا لبيدو وكأنه يُواجه أعداء قادرين مرتبطين بالمجتمع الغربي ارتباطا عضويا على نحو ما كان الأمر في علاقة تركيا بحلف الناتو وبالقواعد الأمريكية.

العراق نقطة الارتكاز فيما كان يُسمى بحلف "السننتو"

ها هي الثورة تقوم في العراق التي هي نقطة الارتكاز فيما كان يُسمى بحلف "السننتو" وهو المعروف عند العرب في أدبياتهم بحلف بغداد.

كان هذا الحلف يضم بريطانيا بالنيابة عن الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت لا تزال تفضل اللعب من وراء الستار وتقديم المساعدة بطريقة غير مباشرة وكان يضم مع بريطانيا تركيا التي هي عضو بالفعل في حلف الأطلسي مع بريطانيا ومع

أمريكا ويضم مع هاتين الأطلنطيتين ثلاث دول إسلامية هي باكستان وإيران والعراق ويتخذ من بغداد مقرا له.

القوميات غير العربية

كان الحلف يُمهدّ للرئيس جمال عبد الناصر وللناصرية استنفار كل ما هو ممكن من قاعدة عربية معادية لما سماه بالقوميات غير العربية، وهي للأسف الشديد قوميات مرتبطة بالإسلام أو هي باختصار : قوميات إسلامية ، فقد كان هذا الحلف (السننو) يضم كما ذكرنا دولا إسلامية غير عربية هي باكستان وإيران وتركيا ، وكأنه التجسيد الحي للصورة التي لجأ إليها خطباء الناصرية ومُنظروها لدول وصفوها زورا بأنها اجتمعت على العداء للقومية العربية وشاركها في هذا نوري السعيد في العراق ! ..

وها هي الثورة تحدث في العراق فتكون هذه الثورة العراقية مضطرة بحكم طبائع الأشياء (حتى لو لم تقتنع) إلى أن تخرج من حلف السننو وإلا ما أصبحت ثورة ولا ثورة عربية ولا ثورة تقدمية.. ثم هي مضطرة بحكم طبائع الأشياء مرة أخرى أن تقترب من القاهرة وهي العاصمة التي لم تعد تضم مصر وحدها وإنما أصبحت تضم الدولتين العربيتين المحورييتين مصر وسوريا ، ومن الحق أن الرئيس عبد الكريم قاسم ونظام الرئيس عبد الكريم قاسم أنجز هاتين الخطوتين في سرعة البرق، وأصبح الرئيس جمال عبد الناصر في لمح البصر وقد خلا الجو له من حلف بغداد ومن نوري السعيد ومن هذه الصورة التي كان لا يفتأ يُندد بوجودها.

العجز عن الاستفادة من الوضع الجديد

عندئذ نشأت نواة أكبر مشكلة من مشكلات الفكر السياسي التي واجهت العالم العربي في تاريخه الحديث والمعاصر وهي أن الرئيس جمال عبد الناصر بنظامه ودعاوى هذا النظام لم يكن قادرا على أن يستفيد من هذا الوضع الجديد الذي أحدثه وجود الوحدة في دمشق ووجود الثورة في بغداد.

النظام المصري كان لا يزال قاطريا

كان السبب الجوهرى والواضح والحقيقي أن الرئيس جمال عبد الناصر ونظام الرئيس جمال عبد الناصر كان لا يزال قاطريا إلى أبعد حد، قاهريا إلى آخر مدى ولم يكن يعرف أي معنى من معاني التعاون ، فلم يكن يعرف الاندماج ولا الاستيعاب ولا الإيثار ولا التبادل ولا الاصطفاف ولا روح الفريق ولا روح الجماعة.

كان نظام الرئيس جمال عبد الناصر كما كان الرئيس جمال عبد الناصر نفسه سلطويا إلى أقصى حدود السلطوية و مركزيا إلى أقصى حدود المركزية و متمركزا حول ذاته إلى أقصى حدود التمرکز، و كان بلغة العلم البيولوجي ارتكازيا بلا قدرة على الجذب، كما كان متمركزا بدون أي قدرة على الامتداد أو الاستطالة أو التمدد أو الاتساع.

عبد الكريم قاسم كادر ماركسي متميز لم يكن يقبل بما هو مطلوب منه

كان هذا التوصيف الفيزيقي - البيولوجي هو أصدق وصف لحالة الرئيس جمال عبد الناصر في تعامله مع عبد الكريم قاسم، كان يتصور أن على الرئيس عبد الكريم قاسم أن يُطيع وأن يستأذن وأن يخضع وأن يصقّق وأن يمدح وأن يقتدي وأن دوره في الحياة لا يتعدى الطاعة والخضوع والافتداء مع قدر من الاستئذان في التصفيق الحاد والمديح المتكرر.. ولم يكن الكادر الماركسي الرئيس عبد الكريم قاسم قادرا على القبول بمثل هذا حتى لو أنه كان لا يملك قوت يومه فما بالك وقد تسلم دولة ذات مقدرات عظيمة في ثرواتها و تاريخها و كوادرها وخبراتها وبنيتها وموازنتها ودخولها؟ فما بالك وقد وجد تنظيمه يسنده بالكلمة والسلاح وبالرؤية والمناقشة، وما بالك وقد وجد أن الروابط بين العراقيين والسوريين تجعلهم قد أدركوا مدى ما يُعانيه السوريون من الرئيس جمال عبد الناصر وما ينصحون به العراقيين من تجنب للرئيس جمال عبد الناصر وجبروت الرئيس جمال عبد الناصر الذي هو كفيل بأن يجعل من بغداد عاصمة مقهورة على نحو ما أصبحت دمشق مقهورة و تعاني القهر لكي تبقى القاهرة وحدها مقررة و قاهرة.

الترحيب لا يعني الملكية

هكذا وجد الرئيس جمال عبد الناصر نفسه أمام جماهيره العربية عاجزا عن أن يضيف إلى أمجاده البطولية من خلال العراق، صحيح أن الثورة لقيت ترحيب الرئيس جمال عبد الناصر ونظام الرئيس جمال عبد الناصر وجهازه الإعلامي لكن الترحيب لا يعني الملكية ولا الاستيلاء وإنما يتطلب من الرئيس جمال عبد الناصر ما لم يكن قادرا عليه من المضي خطوات في سبيل الأخوة والصدقة بينما هو يعيش دور الزعامة المركبة التي لا يُرضيها إلا شيء واحد هو اتساع قاعدتها في الأرض التي تحكمها و في الجماهير التي تؤمن بها.

الرئيس عبد الناصر لم يكن ليُقبل بتهديد زعامته

ومن دون أن ندخل في أية تفصيلات نظرية أو عملية ، فإن الخلاف بين الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس عبد الكريم قاسم سرعان ما ظهر، وبدا الأمر وكان هذا الخلاف يُهدد زعامة الرئيس جمال عبد الناصر الذي لم يكن ليُقبل بتهديد زعامته مهما كان الثمن، وهكذا تسارعت خطوات الخلاف بفضل الإعلام المصري القادر على تأجيج أي خلاف حتى من دون سبب جوهري، وكلما ازدادت حملات الإعلام اشتعالا كان غضب الرئيس جمال عبد الناصر يزداد اشتعالا، وكلما ازداد غضب الرئيس جمال عبد الناصر اشتعالا كانت حملات الإعلام تزداد اشتعالا، وهكذا كان الرئيس جمال عبد الناصر يُجيد تصوير نفسه في موقع رد الفعل أو في موقع المفعول به الذي لا يجوز له أن يصمت تجاه الاستقزاز أو تجاه الخطأ أو تجاه الانحراف عما يصوره هو بوصلة للعمل للصائب.

ضربة انقلابية ضخمة لنظام الرئيس عبد الكريم قاسم

ومن دون أن ندخل في أية تفصيلات من التفصيلات الكبيرة المتاحة بغزارة في صُحف تلك الفترة ، فقد كان من الطبيعي أن يشجع الرئيس جمال عبد الناصر مخابراته التي في دمشق والتي في القاهرة على أن توجه ضربة انقلابية ضخمة لنظام الرئيس عبد الكريم قاسم للخلاص منه، فإذا لم تكن الناصرية قد شاركت في إزاحة نوري السعيد وقتله فإن من واجبه الآن أن تزيج الرئيس عبد الكريم قاسم لكي يكون لها الحق في أن تقول إنها صانعة الثورة وليست باعثة لها فحسب.

وهكذا تورط نظام الرئيس جمال عبد الناصر بكل وضوح وقسوة فيما سُمي في الإعلام الناصري بثورة الموصل وفيما وصف في الإعلام العراقي بأنه الحركة التي قادها العقيد عبد الوهاب الشواف (١٩١٦ - ١٩٥٩) في ٨ مارس ١٩٥٩ أي قبل مرور ثمانية شهور من عمر نظام الرئيس عبد الكريم قاسم وهي علامة على أن أمر هذه الثورات الثلاث: (٢٣ يوليو ١٩٥٢ و ١٤ يوليو ١٩٥٨ و ٨ مارس ١٩٥٩) لم يكن وطنيا مائة بالمائة وإنما كان يستفيد أيضا من حركات توجيه عن بعد تملك الكثير من المقومات في العمل على الأرض وتحت الأرض.

قاسم يقصف الحامية التي كانت تضم قوات العقيد الشواف

بدأ العقيد عبد الوهاب الشواف حركته بثقة متناهية في إمكان نجاح التمرد على الرئيس عبد الكريم قاسم وأعلن ثورته من محطة إذاعية محلية لكن نظام الرئيس

جمال عبد الناصر كله كان وراء هذه "الثورة" إلى حد أنه بشر بنجاحها في الإذاعات الكبرى التي كان النظام المصري يمتلكها.

نجح الرئيس عبد الكريم قاسم في أن يقصف الحامية التي كانت تضم قوات العقيد الشواف في الموصل، حتى جرح الشواف نفسه ونقل إلى المستشفى فتصدى له أنصار الرئيس عبد الكريم قاسم وقتلوه ثم سرعان ما أعدم قاسم مجموعة من خيرة الضباط مع الشواف.

الإعدامات

كان رد فعل الرئيس عبد الكريم قاسم على حركة العقيد الشواف عنيفا ، فقد حاكم ٧٥ متهما من ضباط الجيش والمدنيين وصدرت الأحكام بإعدام ٢٩ من الضباط والمدنيين وحكمت بالسجن المؤبد والأشغال الشاقة على ٢٧ من الضباط والمدنيين على حين برأت المحكمة ١٨ من الضباط والمدنيين.

وفي فبراير ١٩٥٩ أعدم الرئيس عبد الكريم قاسم الطيارين الأربعة الذين حاولوا قصف وزارة الدفاع وفي ٢٥ أغسطس ١٩٥٩ أعدم ستة آخرين كان قد صدر حكم بإعدامهم في ٩ أغسطس ١٩٥٩.

وفي ٢٠ سبتمبر ١٩٥٩ أعدم من اعتُبروا زعماء الحركة وكان من بينهم الزعيم ناظم الطبقجلي والعقيد رفعت الحاج سري وآخرون بينما خُفّضت أحكام الإعدام في ١٩ سبتمبر ١٩٥٩ عن سبعة ممن كان قد صدر الحكم بإعدامهم. وهكذا فإن ٢٢ ممن اتهموا بالاشتراك في ثورة العقيد الشواف أعدموا بالفعل.

إبعاد عبد السلام عارف

قبل هذا كان عبد السلام عارف الرجل الثاني في نظام الرئيس عبد الكريم قاسم قد أُبعد عن منصبه في ٢٠ سبتمبر ١٩٥٨ ، أي بعد عشرة أسابيع من قيام الثورة وعُيّن سفيراً في ألمانيا الغربية لكنه عاد إلى العراق وفي ٥ نوفمبر أُتهم بمحاولة اغتيال قاسم وقلب نظام الحكم وحوكم وحكم عليه بالإعدام في يناير ١٩٥٩.. وبقي هكذا محكوماً عليه بالإعدام إلى ان صدر عفو عنه في ديسمبر ١٩٦٢.

من الطريف أن العقيد الشواف نفسه كان ضد الرئيس عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف على حد سواء.

مشاركة الرئيس صدام حسين في محاولة اغتيال قاسم

بعد محاولة انقلاب العقيد الشواف بشهور تعرض الرئيس عبد الكريم قاسم لمحاولة اغتيال جريئة في ٢٧ أكتوبر ١٩٥٩ قُتل فيها سائقه ومرافقه ، لكنه نجا من هجوم هذا الاغتيال الذي اشترك في تنفيذه الرئيس صدام حسين نفسه.

نجاحات قاسم السياسية السريعة

كانت عناصر نجاح الرئيس عبد الكريم قاسم الروتينية أو التقليدية جاهزة ومن الحق أنه لم يُفَرِّط في إنجازها بأقصى سرعة ، فهو كما ذكرنا أعلن انسحاب العراق من حلف بغداد وبالتالي فقد الحلف مبرر وجوده في بغداد نفسها، وارتبط بهذا خروجه مما سُمي بالاتحاد الهاشمي بين العراق والأردن وهو تحصل حاصل ، فقد أعلن التحول من النظام الملكي إلى النظام الجمهوري مباشرة ومع أن معظم الناس يعتقدون أنه كان رئيسا للجمهورية فإنه لم يتول هذا المنصب وإنما أسنده إلى الفريق محمد نجيب الربيعي الذي ظل رئيسا للجمهورية حتى خلعه و خلفه عبد السلام عارف في ثورة فبراير ١٩٦٣ .

قسوته في معاملة العائلة المالكة

اعتقل الرئيس عبد الكريم قاسم كل من أمكنه اعتقالهم من أفراد العائلة الملكية والنظام الملكي والمقربين من النظام السابق ، كما ألغى معظم المراسيم والقوانين التي صدرت في عهد نوري السعيد وكان جاهزا ببدائلها كما هي عادة الماركسيين، وأطلق سراح المعتقلين السياسيين، كما ألغى القرارات التي كانت قد صدرت بنزع جنسية بعض العراقيين وأعلن على عكس ما حدث في ثورة ٢٣ يوليو في مصر عن إطلاق الحريات العامة والحريات الحزبية، بل إنه سرعان ما أصدر دستورا جديدا سُمي دستور ١٩٥٨ وهو دستور مؤقت بالطبع، وقد استرضى الوطنيين الذين كان النظام السابق قد آذاهم بسبب حركة انقلاب ١٩٤١ وصدرت النصوص على أن هذه الحركة التي عُرفت باسم ثورة رشيد عالي الكيلاني (١٨٩٢- ١٩٦٥) هي حركة تحريرية وطنية، لكن المذهل أن السياسي العظيم رشيد عالي الكيلاني نفسه الذي كان لا يزال على قيد الحياة تعرض للاتهام من نظام الرئيس قاسم بعد ذلك.

إنجازات قاسم الاقتصادية

في صعيد التنمية والاقتصاد أصدر الرئيس عبد الكريم قاسم قانون الإصلاح الزراعي وألغى ما أسماه نظام الإقطاع والعشائر، وأعلن عن انسحاب العراق من منطقة الجنيه الإسترليني، واستعاد بعض الأراضي التي كانت مُخصّصة لشركات

البترولاستكشاف النفط بها (يُقال إنه استعاد ٩٩٪ من هذه الأراضي) وعُني بخطط الإسكان وتوزيع المساكن وإسكان الضباط و ضباط الصف كما شرع في بناء المستشفيات والمدارس والطرق وبدأ خطط التسليح مع الاتحاد السوفيتي. و بالإضافة لهذا كله ، فقد بدأ الرئيس عبد الكريم قاسم زعيما عربيا ثاقب الفكر بعيد النظر حريصا على الفعل لا على الانفعال و كان هذا من أسرار تفوق خطابه السياسي على خطاب الرئيس عبد الناصر .

دعم حركات تحرير ساحل عمان والجنوب

كان الرئيس عبد الكريم قاسم (رغم موقفه من الكويت) هو من بدأ في دعم حركات التحرير في ساحل عمان، والخليج العربي والجنوب العربي .

دعوته الذكية إلى إنشاء دولة فلسطينية

كان الرئيس عبد الكريم قاسم هو من دعا إلى إنشاء دولة فلسطينية فكانت دعوته هذه دافعا مباشرا وسببا جوهريا لقرار الغرب الخفي بالتخلص السريع منه، وبخاصة أنه لم يتغاض عن الإيحاء بأن الرئيس عبد النصر والملك حسين لا يُشجّعانه في هذه الخطوة، ومع هذا فقد نالت دعوته بإنشاء جيش التحرير الفلسطيني صدى إيجابيا قاد بالفعل إلى إنشاء هذا الكيان فيما بعد قليل.

دوره في خلق مناخ شجع على الانفصال السوري

كانت المُحصّلة النهائية لوجود الرئيس عبد الكريم قاسم في حكم العراق أن العرب فتحوا أعينهم على نموذج ناصري آخر، وصفه العرب الماديون في مجالسهم ومنتدياتهم بأنه أكثر جدية وأكثر جنونا وقادت المعركة الإعلامية بين الرجلين إلى تمزيق ثياب كل منهما.

وإذا كان هناك سبب حقيقي لنجاح الانفصال السوري عن مصر في سبتمبر ١٩٦١ فإنه يتمثل في وجود الرئيس عبد الكريم قاسم والخطاب القاسمي الفاضح لديكتاتورية الرئيس جمال عبد الناصر وبيروقراطيته وسوء إدارته في سوريا وفي غير سوريا، وكان العداء بين الرجلين والنظامين سافرا ومعلنا ، وبخاصة بعد مشاركة مصر العلنية في تمرد أو ثورة العقيد الشواف (١٩٥٩) .

نمو الخوف من الماركسية

كانت نتيجة الهجوم الناصري تتمثل في اقتناع شعبي بعدم مناسبة الماركسية والفكر الماركسي وبالخوف من الماركسية والفكر الماركسي وكانت نتيجة الهجوم القاسمي أن عرفت الجماهير أن الناصرية تحمل من التزييف أكثر مما تُحقّق من

الإنجاز، وهكذا سهّل على السوريين أن يتخلصوا من الرئيس جمال عبد الناصر وكان من الطبيعي أن يكون هذا الخلاص (في النهاية كما في البداية و في الظاهر كما في الباطن) لمصلحة البعث الذي حاربه الرئيس جمال عبد الناصر بلا هوادة قبل الانفصال وبعده.

توحد الاتجاهات القومية والبعثية ضد قاسم

أما في العراق فإن الاتجاهات القومية والبعثية توحدت ضد الرئيس عبد الكريم قاسم وانضم الناصريون إلى القوميون والبعثيين في هذا التوجه الذي انتهى بإعدام الرئيس عبد الكريم قاسم لا بإزاحته فحسب، وسلك العراقيون سبيلا آمنا حين عهدوا إلى عبد السلام عارف بالرئاسة فتولاها (١٩٦٣ - ١٩٦٦) ثم خلفه شقيقه عبد الرحمن عارف (١٩٦٦ - ١٩٦٨) ريثما رأى البعثيون أن ينفردوا بالعراق منذ ذلك الحين ١٩٦٨ وحتى سقوط بغداد في ٢٠٠٣ أما الناصريون العراقيون فإنهم سرعان ما أحرقوا الناصرية تماما ذلك أن محاولة الانقلاب على عبد السلام عارف لم تأت إلا من الناصريين على الرغم من أن عبد السلام عارف كان بردا وسلاما على مصر والرئيس جمال عبد الناصر بعد التوتر "القاسمي" الذي أقض المضاجع الناصرية (١٩٥٨ - ١٩٦٣).

البعث أفاد من النتائج الصادمة لصراع الزعيمين

كانت نتيجة المباريات السياسية بكل وضوح أن الرئيس عبد الكريم قاسم أشعل الرئيس جمال عبد الناصر، وأحرق الناصرية والناصريين، وفتح المجال واسعا أمام البعث ليستردّ قواعده الأساسية (بكل سهولة) في العراق وسوريا (بل وغيرها) وليبقى في هذه القواعد متمركزا منفردا منذ فبراير ١٩٦٣ (في العراق) ومنذ مارس ١٩٦٣ (في سوريا) وهو يكاد يمتنّ للرئيس عبد الكريم قاسم الذي أزاح الضغط الناصري الذي كان بمثابة الضغط الوحيد الذي واجهته حركة البعث.

الروح البعثية ازدهرت على يد عدو ماركسي للبعث هو قاسم

و صحيح أن البعثين السوري والعراقي اختلفا، لكنه كان اختلافا في الأشخاص والتفصيلات ، أما الروح البعثية فقد ازدهرت على يد عدو ماركسي للبعث هو الرئيس عبد الكريم قاسم، وفي كل الأحوال فإن المثقفين العرب لا يزالون يعتقدون أن البعث بكل عيوبه أخفّ وطأة من الماركسية على طريقة الرئيس عبد الكريم قاسم كما أنه بكل قسوته أكثر إنجازا من الناصرية بكل إعلامها المسيطر.

الشخص يُزيل الشخص لكن الفكرة تبقى

وعلى الرغم من أن فكرة البعث لم تعد جذابة ولا حتى جاذبة ، فإن المحصلة النهائية للحراك السياسي العربي أثبتت بكل وضوح أن الشخص يُزيل الشخص مهما كانت سطوة هذا أو ذاك وأن الفكرة تبقى حتى لو لم يجلس أصحابها في مقاعد الحكم. وهكذا بقيت فكرة مشيل عفلق بينما أصبحت الناصرية مدعاة للهجوم المحقق أو النقد المخفف على الرئيس جمال عبد الناصر، وأصبحت الماركسية تستدعي ذكرى الرئيس عبد الكريم قاسم فحسب في المقام الأول على الرغم من تجارب الماركسية في اليمن الجنوبي وغير اليمن الجنوبي.

نهايات متوقعة

ولو أن انقلاب فبراير ١٩٦٣ لم ينجح ، فإن الحاجة التاريخية إلى الانقلاب على الرئيس عبد الكريم قاسم كانت كفيلة بانقلابات كثيرة تتكرر حتى ينجح أحدها. أما الرئيس جمال عبد الناصر فقد تكفل بالقضاء على مشوعه بنفسه منذ فشل في الوحدة في سبتمبر ١٩٦١ ، واستدعى فشلا ثانيا بدخوله اليمن في سبتمبر ١٩٦٢ ثم نُوجِج الفشل بهزيمة يونيو ١٩٦٧ وما بعدها .

الفصل الثاني : الرئيس عبد السلام عارف

الذي توسط للشهيد سيد قطب فاستشهد قبله

النقطة مفصلية التي مثلها

كان الرئيس عبد السلام عارف ولا يزال نقطة مفصلية (كامنة التمفصل) في تاريخ العروبة والإسلام ، وعلى الرغم من أن عشاق الطغيان يصورون هذا الرجل رئيساً مفقداً (بدرجة ما) للكاريزما فإن الرئيس عبد السلام عارف كان بلا جدال أرفع العسكريين العرب ثقافة وفهماً، وقد أتاح له هذا الفهم مروره بثلاث تجارب خاصة يندر اجتماعها في رئيس واحد.

التجربة الأولى : هي تجربة الغرب المكملة

وقد تمت هذه التجربة في المجتمع الألماني لمدة ٥ سنوات (١٩٥١ - ١٩٥٦) حيث عاش في ديسلدورف وتأثر ببيئتها وثقافتها وحضارتها التي تجمع بين الأمانة والفرنسة كما تأثر بالسلوكيات الناشئة عن فلسفة الألمان المثالية وعلمهم الجاد وإحاطتهم الواسعة بشئون الحياة، خاض الرئيس عبد السلام عارف هذه التجربة حين كانت ألمانيا تبني نفسها ولم تكن وصلت إلى أية درجة من درجات التعالي على الأجانب ، بل ربما أن الوضع المالي للرئيس عبد السلام عارف في ذلك الوقت كان أفضل بكثير من الألمان بلا استثناء ، وهكذا فإنه تعلم و تثقف وتحضر من شرفة عالية ومن دون أن يُحس بأنه يخضع للغربيين أو باضطراره إلى تملقهم.

التجربة الثانية : هي تجربة السجن

وكان هذا السجن سجناً جاداً حقيقياً لم يقف عند تحديد الإقامة وإنما تطور لاحتمال التعرض لحكم الإعدام وهي الفترة التي قضاهما بعد أن كان قد أصبح الرجل الثاني في العراق ونائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للداخلية (١٩٥٨) فإذا به بأوامر من عبد الكريم قاسم ينقل ليكون سفيراً في ألمانيا الغربية (١٩٥٩) ويعود ليطمئن على والده فيقبض عليه بتهمة تنظيم انقلاب ، ويصدر عليه حكم بالإعدام ثم يُخففه الرئيس قاسم إلى المؤبد ثم إلى تحديد الإقامة .

التجربة الثالثة : تتعلق بنقد الذات والنضج الانفعالي

سنؤجل الحديث عنها إلى حينها لتأتي في سياقها من دون تأثير على الفهم التاريخي .

وصوله للرئاسة = انتصار البعث والقوميين على الشيوعيين

حدث الانقلاب البعثي - القومي على نظام عبد الكريم قاسم واستدعى الرئيس عبد السلام عارف ليتولى رئاسة الجمهورية في ٨ فبراير ١٩٦٣ فيما اعتُبر انتصارا للبعث والقوميين المتحالفين معه تتوج بعد شهر بالضبط بانتصار آخر للبعث في سوريا فيما يُعرف بحركة ٨ مارس ١٩٦٣ التي جاء البعث من خلالها للسلطة في سوريا ولم يُغادرها منذ ذلك الوقت وإن حدثت انقلابات بعثية على البعث من داخل البعث نفسه كما هو معروف.

ها نحن في فبراير ١٩٦٣ وقد أصبح للعراق رئيس جديد هو الرئيس عبد السلام عارف هو ثاني رؤسائها في عهد الجمهورية، وقد سبقه إلى رئاسة الجمهورية الفريق محمد نجيب الربيعي الذي كان يتولى هذه الرئاسة منذ نجاح انقلاب عبد الكريم قاسم والرئيس عبد السلام عارف في ١٤ يوليو ١٩٥٨ فقد كان عبد الكريم قاسم قائدا للثورة ولمجلسها ورئيسا للوزراء لكنه لم يكن رئيسا للجمهورية. وقد عقد البعثيون المعروفون براديكاليتهم الاستئنافية محاكمة فورية لعبد الكريم قاسم وأعدموه وكان هذا متوقعا نتيجة لعنفه معهم.

موجز تصنيفات الستينات

من المهم أن نبيّن للقارئ الذي لم يُعاصر تصنيفات الستينات ما أصبح واضحا لنا الآن من الاتجاهات التي اضطرب حكم العراق فيما بينها في العهد الجمهوري:

- فالشيوعي هو عبد الكريم قاسم قائد الثورة في ١٤ يوليو ١٩٥٨
- والقومي العربي هو الرئيس عبد السلام عارف نائبه في ١٤ يوليو ١٩٥٨ والذي أصبح رئيسا للعراق في ٨ فبراير ١٩٦٣ من خلال الانقلاب على عبد الكريم قاسم .
- والبعثي هو أحمد حسن البكر رئيس الوزراء في عهد عبد السلام عارف، ثم نائب رئيس الجمهورية في عهده، ثم رئيس الجمهورية بعد ذلك .
- وقد حاول البعثيون الانقلاب على الرئيس عبد السلام عارف أكثر من مرة لكن الرئيس عبد السلام عارف سبقهم (وهو رئيس) في الانقلاب عليهم.

معنى انقلاب صاحب السلطة

ولأن انقلاب صاحب السلطة لا يُسمّى انقلابا وإنما يسمى حركة تصحيحية فإن هذا ما حدث حين قاد الرئيس عبد السلام عارف "حركة تصحيحية" ضد شركائه

البعثيين في ١٨ نوفمبر ١٩٦٣ أي بعد ٢٥٠ يوما (ثمانية شهور وعشرة أيام) من وصوله للرئاسة وقد عزل في هذه الحركة الوزراء البعثيين في حكومته وكانوا ١٢ وزيرا وأحل محلهم ١٢ من الضباط العسكريين المواليين له كي يستطيع أن يُسيطر على الأوضاع ، ومع أنه أحالهم جميعا للتحقيق فإنه استثنى رئيس الوزراء أحمد حسن البكر نفسه الذي أصبح فيما بعد خلفا لخلفه أي خلفا لأخيه عبد الرحمن عارف الذي هو ثاني رؤساء العراق، وأحمد حسن البكر هو ثالث رؤساء العراق و هو الذي كان الرئيس صدام نائبا له حتى ١٩٧٩ .

ومن الطريف أن الرئيس عبد السلام عارف كان قد عاد بعد فترة وأعاد أحمد حسن البكر لمنصب نائب رئيس الجمهورية بعد ان كان عزله من رئاسة الوزارة .

موقف الناصرية الحائر

أما التوجه الرابع وهو الناصري فيُمثله عارف عبد الرزاق رئيس الوزراء في عهد الرئيس عبد السلام عارف الذي حاول الانقلاب على الرئيس عبد السلام عارف بالتحديد في ١٥ سبتمبر ١٩٦٥ ، (قبل سبع شهور من وفاة عارف) ومع أن محاولته فشلت فقد لجأ إلى مصر، ثم إن أجهزة مصرية حاولت مرة أخرى أن يكون هو خليفة للرئيس عبد السلام عارف حسبما روى أمين هويدي في كتبه ونقلنا عنه إلا أن العراقيين كانوا قد فضلوا عبد الرحمن عارف على مرشحهم الآخر وهو الدكتور عبد الرحمن البزاز العلامة المفكر الذي كان رئيسا للوزراء ولم يتح للعراق أن يستفيد منه في موقع رئيس الجمهورية.

مرحلة تداول السلطة بين البعثيين

يمكن لنا أن نقول بكل وضوح إنه منذ فبراير ١٩٦٣ وحتى سقوط بغداد في عهد صدام بعد أربعين عاما ٢٠٠٣ بدأت مرحلة تم تداول السلطة فيها بين البعثيين في أغلب الفترة وبين القوميين العرب من ذوي التوجه القومي الذين لم يكونوا يملكون تنظيما بقوة البعث و سطوته. أما في سوريا فإن السلطة تنقلت من بعث إلى بعث منذ مارس ١٩٦٣ (بعد شهر من العراق) وحتى الآن بعد ٥٥ عاما.

تحول السلطة في العالم العربي

و ببساطة شديدة فقد كان هذان الحدثان العراق في فبراير ١٩٦٣ والسوري في مارس ١٩٦٣ البداية الحقيقية ، وغير المعلنة حتى الآن ، للانحسار النهائي للفكرة الناصرية والمد الناصري، وكل ما جاء ما بعدها من وجود ناصري هنا أو هناك لم يكن إلا بمثابة شذرات الناصرية التي سعدت ثم بدأت الانحسار بانفصال سوريا

(سبتمبر ١٩٦١) ثم بدأت الانحسار النهائي بانقلابي العراق وسوريا في فبراير ١٩٦٣ ومارس ١٩٦٣ .

لم يكن الرئيس عبد السلام عارف بعثيا لكنه التقى مع البعث في مساحات كثيرة، ولم يكن أيضا ناصريا لكنه التقى مع عبد الناصر في مساحات كثيرة ، أما حقيقة الرئيس عبد السلام عارف التي فقد حياته بسببها فهي أنه كان أقرب الزعماء العرب إلى التوجهات الإسلامية الموضوعية إذا صح هذا التعبير.

قصة توسطه الأول للشهيد سيد قطب

ومن الطريف الذي يتعمد كثيرون أن يقفروا عليه أن الرئيس عبد السلام عارف هو الذي توسط في ١٩٦٤ للمفكر سيد قطب من تلقاء نفسه عند عبد الناصر ليخرجه من السجن فأخرجه ، حدث هذا في ١٩٦٤ ولم يتحمل عبد الناصر ومن هم وراء عبد الناصر من القوى الكبرى أن يبقى سيد قطب حرا ولا حيا، فإذا به يُسجن مرة أخرى في ١٩٦٥ مُتهما بمؤامرة ضُخمت معالمها، وقبل أن يصل سيد قطب إلى مرحلة الحكم عليه بالإعدام كان الرئيس عبد السلام عارف نفسه قد لقي مصرعه في حادث طائرة مريب على نحو ما يلقي أمثاله نهايتهم في أحداث مريبة.

ماذا بقي من عبد السلام عارف!

نقفز إلى السؤال التاريخي التقليدي: ماذا بقي من عبد السلام عارف! المذهل أننا نجد الإجابة على هذا السؤال تقول إن ما بقي من الرئيس عبد السلام عارف (فبراير ١٩٦٣ - أبريل ١٩٦٦) أي في ثمانية وثلاثين شهرا يفوق ما بقي مما انجز في عصر الرئيس صدام حسين على مدى سنوات طوال ! . كما أننا نجد الرئيس عبد السلام عارف قد سبق الرئيس جمال عبد الناصر بخطوات واسعة في مجال التنمية حتى أنه في ١٩٦٥ بعد عامين من مسئوليته كان قد حقق من المؤسسات والتوجهات أكثر مما حققه جمال عبد الناصر في ١١ عاما (١٩٥٤ - ١٩٦٥) .

هل استفاد من نتائج تجربة الرئيس عبد الناصر

ومن المفهوم بالطبع أن الرئيس عبد السلام عارف قد استفاد من نتائج تجربة الرئيس عبد الناصر الجاهزة بعد تصفيتها من العيوب والمحاولات الفاشلة، لكن الإنصاف يقتضينا أن نقول إن عزم الرئيس عبد السلام عارف وجديته كانا يفوقان عزم عبد الناصر وجديته بمراحل كثيرة حتى مع كل ما تمتع به عبد الناصر من حماس ونفوذ وطاعة ومعاونين.

تفوقه على كل العسكريين العرب بلا استثناء

إذا قارنت أي مجال من مجالات التنمية الاجتماعية والاقتصادية فستجد آثار الرئيس عبد السلام عارف تفوق آثار كل العسكريين العرب وليس عبد الناصر وحده وهنا نأتي إلى التجربة الثالثة التي أشرت إليها سريعا في البداية و أجلت الحديث عنها.

صورته الأولى التي تطورت سريعا

حين بدأ الرئيس عبد السلام عارف علاقته بالسلطة كنائب لعبد الكريم قاسم ووزير للداخلية ١٩٥٨ استعار من التاريخ الإسلامي صورة حكام المسلمين الأوائل الذين يسيرون بين الناس بأمان، ويتصرفون على طبيعتهم ، ويحاولون ممارسة كل شيء بأنفسهم فإذا تحدثوا كانوا صرحاء فضلا عن أن يكونوا صادقين، وإذا انتقدوا كانوا مباشرين بدلا من أن يكونوا متلطفين وهكذا جلب الرئيس عبد السلام عارف لنفسه كل الانتقادات المعهودة في انتقاد السلوك العفوي مهما كان صاحب السلوك صادقا ومخلصا.. ونحن نعرف أن الزمن وحده يتكفل بأن يتحول هذا الانتقاد إلى سخرية وإلى ما هو أصعب أثرا من السخرية.

ثم مرّ الرئيس عبد السلام عارف بتجربة السجن، والابتعاد عن السلطة ، ورأى بنفسه وسمع الانتقادات الموجهة إلى تصرفاته ورأى في هذه الانتقادات كثيرا من المعقولية والمنطقية فأعاد ضبط سلوكه وتصرفاته على نحو يليق بالبروتوكول لا بالفلكلور ، وهكذا أصبح من أول أيامه في فترة حكمه كرئيس (١٩٦٣ - ١٩٦٦) رجلا مختلفا تماما عن ذلك الثائر القديم الذي عرفه الناس وهو وزير و نائب لرئيس الوزراء (١٩٥٨ - ١٩٥٩).

عضويته في تنظيم ثورة ١٩٤١ بقيادة رشيد عالي الكيلاني

بالطبع فقد كانت الخلفيات السياسية للرئيس عبد السلام عارف سببا من أسباب نجاحه وفهمه فقد كان الرجل قد انضم منذ شبابه الباكر إلى تنظيم ثورة ١٩٤١ بقيادة رشيد عالي الكيلاني وهي الثورة التي تمكنت من الاستيلاء على السلطة ما بين فبراير ومارس ١٩٤١ ونصبت رشيد عالي الكيلاني رئيسا للوزراء بدلا من نوري السعيد.

وبهذه التجارب وبهذه الخبرة وبالمعرفة الألمانية التي تطعمت أيضا بزيارات فرنسية وبريطانية بدأ الرئيس عبد السلام عارف مشروعه الكبير للعراق وهو المشروع الذي لم يلق الإنصاف حتى الآن .

تعدد النجاحات التي حققها الرئيس عبد السلام عارف

وإذا كان من المهم أن نشير إلى بعض ملامح من هذا المشروع فإنني أفضل ألا أنظمها بطريقة موضوعية وإنما أنطلق بها إلى آفاق معرفية وصحفية تعود القارئ المعاصر أن يفهم منها مدى نجاح السياسي ومدى قدرته على الاستمرار ومدى قدرته على النهوض بوطنه بصرف النظر عن قصر حياته وما قُدر له من العمر أو فترة الحكم.

ولهذا فإنني سأذكر هذه القبسات على هيئة فقرات متتالية ومنفصلة حتى يُمكن لمن يُراجعها أن يُشيروا إليها من دون حاجة إلى تصنيف الإنجاز.

موقفه الذكي والمخلص من الأكراد

يمكن القول بأن الرئيس عبد السلام عارف كان أنجح الرؤساء العراقيين في التعامل مع الأكراد حتى إنهم كانوا يتقنون به، وكان يسير معهم وبهم في الطريق الكفيل بحل كل معضلات الزمن التي تراكمت على قضاياهم، كان الضابط الكردي نور الدين محمود رئيساً للوزراء في عهده (١٩٦٥) وكان رئيساً للأركان قبل ذلك. ■ وليس أدل على صدق مشاعره تجاه الأكراد من أنه أصدر أوامره بإيقاف جميع العمليات العسكرية التي تستهدف الأكراد، وهو ما حدث بالفعل. ■ كان اتفاق ١٠ أبريل ١٩٦٤ مفخرة للرئيس عبد السلام عارف وللعراقيين.

موقفه المستوعب مع الأكراد

يمكن القول بأن الرئيس عبد السلام عارف كان رمزا رقيقا للعلاقة المُثلى مع الشيعة، وصل به الأمر أن ضمت وزارة من وزارته تسعة وزراء شيعة (في حكومة طاهر يحيى) وهو ما لم يصل إليه أسلافه ولا خلفاؤه. ■ تأسس حزب الدعوة الإسلامي "الشيوعي" والحزب الإسلامي العراقي في عهد عبد السلام عارف، وقد حدث هذا بعد أن كان الخلاف بين عبد الكريم قاسم والشيعة قد وصل إلى حدود خطيرة ولا نهائية، وكان الشيعة ينتقدون توجهات عبد الكريم قاسم الماركسية، وبعده عن تعاليم الإسلام، بل إن الرئيس عبد السلام عارف تولى تقديم زعماء الشيعة العراقيين إلى جمال عبد الناصر، ومع هذا فقد كان الرئيس عبد السلام عارف بكل وضوح ضد أي سلوك شيوعي طائفي.

- الرئيس عبد السلام عارف هو الذي أعطى الإمام الخميني حق اللجوء السياسي في العراق دون أن يأبه لغضب شاه إيران، ولم يكن أحد من خلفاء الرئيس عبد السلام عارف (بعد موته) ولا من حلفائه (في حياته) قادرا على مثل هذا القرار.

إيمانه العميق بفكرة الوحدة الوطنية

يمكن القول بأن الأثر الفكري الذي لم يصل إليه أحد من الرؤساء العرب قبل الرئيس عبد السلام عارف هو إيمانه العميق بفكرة الوحدة الوطنية وهو الإعلان الذي حكم موقفه من الأكراد والشيعية والأقليات على وجه العموم، وقد كان عارف منتبها إلى حقيقة أن الوحدة العربية لا تغني عن الوحدة الوطنية، بل كان مناديا بأن تحقيق الوحدة الوطنية يجب أن يسبق الدعوة إلى الوحدة العربية ويتسق معها، وهو المبدأ الذي نادى به من بعده المشير عبد الله السلال في اليمن دون أن يتمكن من تحقيق إنجاز فيه نظرا لما أصابه من الإبعاد عن السلطة.

الدولة القوية بالسلح في عهد الرئيس عبد السلام عارف

و ننتقل مع الرئيس عبد السلام عارف إلى مجموعة من النجاحات الذكية التي حققها في مجالات استراتيجية لم يستطع معاصروه أن يجاروه فيها على الرغم مما توافر لهم من أسباب النجاح :

- نجح الرئيس عبد السلام عارف نجاحا ساحقا في سياسات التسليح سواء من ألمانيا الغربية أو من الاتحاد السوفياتي، وكان من أوائل الذين وظفوا علاقات البترول في خدمة إمكانات التسليح ، وقد سلح الجيش العراقي مبكرا بطائرات الميج ٢١.
- نجح الرئيس عبد السلام عارف في سياسة تصنيع واسعة النطاق شملت الصناعة الكيماوية والغدائية والسجاد.

اهتمامه بالعلم والتكنولوجيا والإعلام

- الرئيس عبد السلام عارف هو أول من أدخل الحاسب الآلي في البلاد العربية.
- الرئيس عبد السلام عارف هو الذي أسس ثلاث جامعات : الجامعة المستنصرية، وجامعة المعاهد الفنية ، والجامعة التكنولوجية..

- كان أنجح برامج التعريب هو البرنامج الناجح الذي أشرف عليه العلامة مصطفى جواد برعايته ، ويرتبط بهذا مشروعه الذي تم بالفعل بتوحيد المصطلحات العسكرية العربية.
- الرئيس عبد السلام عارف هو من أسس وكالة الأنباء العراقية

محاولة استنساخه للأزهر

كان الرئيس عبد السلام عارف إنشائياً من طراز متقدم ، فتأسس أكبر مساجد العراق وهو جامع أم الطبول في عهده (١٩٦٦) وقد جعله نسخة من الجامع الأزهر من حيث الزخارف ومن العمارة وحجم البناء.

نجاحه في استكمال المقومات الاقتصادية والمعرفية للاستقلال

كان الرئيس عبد السلام عارف منتبهاً إلى استكمال مقومات الاستقلال بإقامة المؤسسات المتخصصة في كل مجال .

- كان الرئيس عبد السلام عارف هو من أسس مؤسسة النفط العراقية قبل غيره من الدول، بل إنه هو من دعا إلى تأسيس منظمة الأوبك التي انعقدت لأول مرة في بغداد ١٩٦٥.
- الرئيس عبد السلام عارف هو من أسس الخطوط الجوية العراقية (١٩٦٤)
- الرئيس عبد السلام عارف هو من أسس المخابرات العراقية .
- والرئيس عبد السلام عارف هو من نظم تعداد السكان العراقي الحديث (١٩٦٥)

اهتمامه بالرياضة والفن

كان الرئيس عبد السلام عارف هو من أسس البطولات العربية الرياضية التي بدأت في بغداد على ملعب الشعب الدولي الذي بدأ بنائه في ١٩٦٣، كما أنه أول من افتتح معارض الفن التشكيلي في العراق (١٩٦٥) ويتصل بهذا ما عُرف عن استضافته الفرق الموسيقية والغنائية على نحو تذكاري وليس على نحو روتيني، وعلى سبيل المثال فإن السيدة أم كلثوم غنت لبغداد في عهده قصيدتين : أولاهما "بغداد يا قلعة الأسود"

التوفيق بين الإسلام و نزعات العدالة

كان الرئيس عبد السلام عارف ميالاً إلى التوفيق بين الإسلام و نزعات العدالة الاجتماعية المعاصرة متمثلة في الاشتراكية ويذكر التاريخ له تأثيره الفكري المرتبط

بإدخال الشريعة الإسلامية في التشريع وبالتأكيد على المعاني الاشتراكية في التشريع الإسلامي وهو الذي كلف خير الدين حسيب بالكتابة عن الاشتراكية الإسلامية فيما يعتبر من حيث المبدأ امتدادا لكتابات سيد قطب ومصطفى السباعي.

مكانته في تاريخ الفكرتين الإسلامية و العربية

أما تأثير الرئيس عبد السلام عارف العربي فكان واضحا في مؤتمرات القمة العربية وفي دعم منظمة التحرير الفلسطينية و القضية الفلسطينية ، بل إنه هو صاحب مصطلح اتحاد الجمهوريات العربية قاصدا مصر وسوريا والعراق الذي تبلور في اتفاق ١٦ أكتوبر.

- واتساقا مع هذا فإنه غير العلم العراقي ليكون كأعلام هذه الجمهوريات العربية، كما أنه خطأ خطوات عربية واسعة في سبيل ما عُرف بعد ذلك بمعاهدة الدفاع العربي المشترك ، محاولا إحياء الفكر الذي كان مسيطرا على النحاس باشا والجابري والعروبيين في عهدهما .
- وليس سرا أن معاهدة الدفاع العربي المشترك كانت سندا لمصر وسوريا في حرب ١٩٧٣ وأنها هي التي مكنت من اشتراك القوات العراقية في دعم القوات السورية أثناء تلك الحرب، على نمط غير مسبوق في التعاون العربي وقت الحرب.
- وعلى الرغم من علاقة عبد السلام المتميزة بالرئيس جمال عبد الناصر والنظام الناصري ، فإنه كان متنبها تمام الانتباه للوقوف أمام العبث الناصري المعهود من خلال أجهزة سيادية مصرية وهو ما مكنه من مواجهة عارف عبد الرزاق وغيره ممن كان يتهمهم بالتبعية المباشرة لمصر لا الأخوة معها.
- وقد كانت رجولة الرئيس عبد السلام عارف في تعامله مع مصر وعبد الناصر مضرب المثل في الاحترام المصري للعرب القادرين على استقلال الإرادة بعيدا عن موجات الناصرية، وهو ما ظهر بوضوح في التخليد الذي حظي به اسم الرئيس عبد السلام عارف في ميادين القاهرة وشوارعها بعد وفاته كما ظهر في حياته في دعوته إلى حفل السد العالي مع خروتشوف وعبد الناصر.

زيارة الكويت

ومما يُذكر للرئيس عبد السلام عارف أنه كان أول رئيس عراقي يزور الكويت، بل كان أول مسئول عراقي يزورها بعد أن كان الزعيم عبد الكريم قاسم قد تحرش بالكويت تحرشا تاريخيا معروفا .

دعم ثورة اليمن و نظام عبد الله السلال

قدم الرئيس عبد السلام عارف مساعدات هائلة لثورة اليمن ولنظام عبد الله السلال الذي هو في الأصل خريج المدرسة العراقية العسكرية، لكن كل هذا الإيمان العربي تعرض للتشويه على يد البعث حين تمكن البعث من الانفراد بالسلطة فيما عُرف بحركة ١٧ يوليو ١٩٦٨ ، وهي الحركة التي ظلت كما ذكرنا تحكم العراق من خلال الرئيسين البكر و صدام حتى غزو الأمريكيين لبغداد في ٢٠٠٣

محاولات الانتقاص من إنجازاته وتوجهاته العربية

وعلى عادة أنظمة الحكم العربية فقد نشطت إدارات متخصصة للانتقاص من إنجازات الرئيس عبد السلام عارف وتوجهاته العربية والعراقية وإصلاحاته وهكذا اجتمع على الهجوم على الرئيس عبد السلام عارف في وقت من الأوقات كل من البعثيين والشيوعيين مع ما بينهما من خلاف، بيد أن المثقفين العرب وجدوا في تاريخ الرئيس عبد السلام عارف وتوجهاته حلا ينجيهم من مآزق البعث والشيوعيين على حد سواء.

ومع أن توجهات عارف لم تُعرف باسمه على نحو ما هو حادث مع غيره وعلى رأسهم عبد الناصر فإن في هذا دلالة على تميز توجهاته بأصولها العروبية والإسلامية والعراقية بعيدا عن أن تكون نزعات شخصية، وهو ما حفظ للرئيس عبد السلام عارف حقه في أن يكون هو الممثل الطبيعي للفكر العربي القومي في السياسة بعيدا عن الصيغتين البعثية والشيوعية والتحويرات أو التشوهات الناصرية.

المفارقة في علاقته بعبد الكريم قاسم

بقيت جزئية من جزئيات مفارقات التاريخ التي تدل على أن إرادة الله غالبية على كل شيء، فقد كان عبد الكريم قاسم هو الذي ضم الرئيس عبد السلام عارف للتنظيم الذي قام بثورة العراق في ١٩٥٨، ومع أن تقاليد هذا التنظيم كانت تستدعي تقييم المرشح للانضمام قبل الموافقة على ضمه، فإن عبد الكريم قاسم فاجأ زملاءه بزميلهم الجديد، فلما قامت الثورة ، و برز للرئيس عبد السلام عارف دور حركي كبير في نجاحها فإنه استحق من أجل دوره أن يكون الرجل الثاني فيها بموافقة هؤلاء جميعا

، ثم حدث ما حدث من خلفه مع عبد الكريم قاسم والقبض عليه والحكم بإعدامه ثم تخفيف الحكم.

إعدام عبد الكريم قاسم

ثم جاءت الثورة التي جاءت به رئيسا وحكم منفذوها بالإعدام على عبد الكريم قاسم منذ يومهم الأول، يروي كثيرون أن الرئيس عبد السلام عارف حاول وقف هذا الحكم فلم يستطع وأنه ذهب بنفسه لدار الإذاعة ليلتقي بعبد الكريم قاسم ويُعاتبه على ما كان منه ، وبينما هما في عتاب كان القرار بتوكيد حكم الإعدام وضرورة تنفيذه قد اتُخذ سواء وافق عليه الرئيس عبد السلام عارف أو لم يوافق.

النار من أسرته

ومما هو جدير بالذكر أن النار بين الرجلين ظل قائما حتى تمكنت جماعة عبد الكريم قاسم من الانتقام من الرئيس عبد السلام عارف بقتل ابنته وزوجها وابنيها في

٢٠٠٤

مؤلفاته

تُنسب للرئيس عبد السلام عارف ثلاثة كتب مهمة ترتبط بفكره ، وهي:

- الاشتراكية والإسلام
- الوحدة العربية والوحدة الوطنية
- حرب الإعمار

تأريخ الأستاذ أحمد نوري لحياته

كتب الأستاذ أحمد نوري كتابا ممتازا عن سيرة حياة الرئيس عبد السلام عارف

نُشر عام ١٩٦٧.

الفصل الثالث عبد الرحمن عارف

الرئيس العربي الوحيد الذي أدى دور الملك الدستوري

كان الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف ١٩١٦-٢٠٠٧ إنسانا متميزا لا شك في ذلك ، حتى لو أنكر كثيرون أن تكون البساطة تميزا، و حتى لو أنكر كثيرون أن توجد زعامة إنسانية مع حياة سلسة خالية من العقد والتعقيد .

حل من الحلول الوسطى

و كان وصول الرئيس عبد الرحمن عارف إلى حكم العراق بمثابة حل من الحلول الوسطى الذكية التي يمكن وصفها باختصار بأنها حلول تلقى القبول لكنها لا تلقى الاستمرار، فقد توفي شقيقه الأصغر منه بأربع سنوات الرئيس عبد السلام عارف ١٩٢٠- ١٩٦٦ في حادث طائرة مفاجئ، وكان الرجل الثاني و المرشح الطبيعي في ذلك الوقت الذي كانت العراق قد استقرت فيه نوعا ما هو رئيس الوزراء المدني الاقتصادي العلامة الدكتور عبد الرحمن البزاز، لكن القوى المحيطة بالعراق لم تكن ترغب في هذا النوع من القيادة المدنية الحكيمة التي ستستند إلى مؤسسات وديموقراطية.

وهكذا فإن القوة العربية القريبة من العراق ، والمسموح لها بالتدخل المحدود فيه بما يتسق مع الحسابات الدولية (و أبرزها مصر الناصرية) كانت جاهزة بمرشحين اثنين، أولهما هو الرئيس عبد الرحمن عارف شقيق الرئيس الذي توفى لتوّه، وثانيهما هو عارف عبد الرزاق الذي قام بمساعدة مصر بمحاولتي انقلاب : كانت الأولى في عهد الرئيس عبد السلام عارف ، وكانت الثانية في عهد شقيقه الرئيس عبد الرحمن عارف.

أسباب تفضيل المصريين للرئيس عبد الرحمن عارف

لا تختلف الروايات المصرية المتعددة كثيرا في توصيف مدى تدخل صاحب القرار المصري وأسباب تفضيله للرئيس عبد الرحمن عارف (ويبدو أن هذه كانت وجهة نظر فريق الرئيس جمال عبد الناصر) أو لعارف عبد الرزاق (ويبدو أن هذه كانت وجهة نظر المُشير عبد الحكيم عامر)، لكن أمين هويدي الذي عمل سفيراً لمصر في العراق والذي كُلف بتبليغ رأي مصر في الخلافة والعمل من أجل تنفيذه، روى ذكرياته في كتابين من كتبه، وفي مواضع أخرى بما يكشف النقاب عن نفوذ

وخطرة المسؤولين المصريين الذين تعاملوا مع هذا الملف ، و بما يكشف النقاب أيضا عن حجم مُعاناة العراق من أشقائها ، وهي معاناة صامتة انتهت على غير تخطيط لمصلحة حزب البعث الذي كان على خلاف مُستعر (وَمُستمر) مع الرئيس جمال عبد الناصر ونظام الرئيس جمال عبد الناصر بمن فيه المشير عامر بالطبع .

إجراء انتخابات تفضيلية بين عبد الرحمن عارف و عبد الرحمن البزاز

لكن العراقيين مارسوا كل ما كان مُتاحا لهم من آليات ديموقراطية ، حتى أنهم أجروا انتخابات بين عبد الرحمن عارف، و عبد الرحمن البزاز، و مارسوا التصويت تحت ضغوط العسكر في أكثر من جولة مرت بها هذه الانتخابات. حتى استقر الامر للضابط على حساب الاقتصادي ، وكلاهما اسمه عبد الرحمن .

نشأته و مناصبه العسكرية

تخرّج الرئيس عبد الرحمن عارف في الكلية الحربية ١٩٣٩ بما يُوازي التأخر في التخرج بثلاث سنوات بعد الفريق أول محمد فوزي الذي ولد معه في عام واحد وتخرّج قبله في ١٩٣٦ (والذي كان سابقا على قادة الثورة ١٩٥٢ في الأقدمية والمولد) وظل الرئيس عبد الرحمن عارف يخدم في القوات المسلحة حتى أحيل للتقاعد في ١٩٦٢ أي في عهد عبد الكريم قاسم فلما قامت الثورة التي جاءت بأخيه رئيسا للعراق أُعيد للخدمة في نفس اليوم ٨ فبراير ١٩٦٣ ونال رتبة اللواء في العام التالي في ١٩٦٤، وأسندت إليه رئاسة أركان الجيش العراقي.

استمرار سياسة شقيقه عبد السلام

واصل الرئيس عبد الرحمن عارف في رئاسته للجمهورية سياسة شقيقه الرئيس عبد السلام عارف بنجاح كبير يُحسبُ له، وكان وجوده في حد ذاته ضمانا لاستمرار الخُطط التي بدأها عبد السلام عارف حتى لو لم يبدأ هو خُططا جديدة، وقد حافظ بأكبر قدر ممكن على الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي وعوامل التنمية الاقتصادية والتقدم الحضاري، وكان عهده خاليا تماما من الصراعات والصراعات على حد سواء.

الاتزان والانتماء

كان تعاون الرئيس عبد الرحمن عارف مع أشقائه العرب مثلا للاتزان والانتماء، لكن هذا كله (كما نعرف) لا يكفي السياسي في العالم العربي الذي كانت جماهيره تتوق إلى الفعل ورد الفعل وإلى لسعة العبقرية، وتكاليف الزعامة، وهكذا

كان البعث يُمارس تدبيره لإزاحة الرئيس عبد الرحمن عارف وتولي السلطة بدلا منه ، وهو ما حدث بالفعل في يوليو ١٩٦٨ .

ومع أن وصول البعث للسلطة تم بترتيبات وتوافقات دولية ليس من الضروري أن تكون علنية ، فإن كل الكتابات التاريخية التي تتناول هذه الحقبة تتصور وتصور أن إزاحة الرئيس عبد الرحمن عارف كانت نتيجة لغدر البعثيين ومن تعاون معهم من رجال القصر الجمهوري الذين فتحوا أبواب القصر لقادة الانقلاب البعثي للدخول إليه وتهديد الرئيس عبد الرحمن عارف ، ثم الحصول منه على التنازل مع اشتراطه أن يصطحب معه ابنه قيس الضابط في البحرية العراقية إلى منفاه في (إسطنبول) تركيا .

إخلاصه هو سبب التخلص منه

و الحق أن التأمل في دور الرئيس عبد الرحمن عارف (شبه الخاطف) في التاريخ العربي المعاصر ربما يقودنا إلى إدراك دوافع الغرب في التدخل في السياسة العربية وطبيعة هذا التدخل على الرغم من هذا الهدوء الذي كان العراق في عهد الرئيس عبد الرحمن عارف يتعامل به مع الغرب والشرق على حد سواء .

وضوح الفكرة القائلة بأن القوى الغربية لا تريد للعراق الاستقرار

على الرغم مما كان واضحا للجميع في ذلك الوقت من بُعد العراق المؤكد عن المغامرات عربيا وإقليميا ، وانشغاله بالتنمية والتربية ÷ فإن القوى الخارجية لم تكن لتقبل كعادتها بهذا النوع من الاستقرار البسيط في مثل هذه المنطقة الواعدة ، وإنما كانت هذه القوى أميل إلى ممارسة ما تستطيع ممارسته من سيناريوهات اللعبة السياسية مع قوى حزبية فنية و شابة و أقرب ما تكون إلى أن تضطر نفسها بنفسها إلى أن تطلب تعاون الغرب أو أسلحته أو تدخله ، ولما كانت الناصرية في ذلك الوقت (١٩٦٨) تُلَفِّظُ أنفاسها من الإجهاد والشيخوخة المبكرة لا من الهزيمة فحسب فقد كان الغرب يُعَوِّلُ على إعطاء الفرصة للبعث العربي لممارسة ما يصفه أعداؤه بأنه العبث بمُستقبل العراق من دون أن يدري كيان البعث أنه يعبث، وإنما هو على يد كثير من كوادره المخلصة له يُمارس مُراهقة فكرية يظنها شابا ، ويُمارس نزقا يظنّه حماسا، ويُمارس اندفاعات مُتضاربة يظنّها إيجابية مُتعددة السُّبُل..

وهكذا كان الإيعاز إلى البعث أو تهيئة الفرصة له كي يستولي على العراق في وقت لم يكن فيه من يستطيع أن يتصدّى له إلا الحكم الديموقراطي والمُنَاخ الديموقراطي الذي لم يكن موجودا ولا مسموحا للعرب به .

عظمة موقف الجيش العراقي في حرب ١٩٦٧

قبل هذا فإنني أميل إلى القول بأن السبب الحقيقي لإزاحة الرئيس عبد الرحمن عارف عن موقعه يعود إلى التجلي في موقف الجيش العراقي في حرب ١٩٦٧ فقد أبلى هذا الجيش في هذه الحرب بلاء حسناً، وكان توجهه إلى النصر والثأر واضحاً كل الوضوح على عكس موقفه في حرب ١٩٤٨..

و قد انتقلت قوات الجيش العراقي إلى ما كان يُسمّى الجبهة الشرقية لحماية سوريا والأردن، ولم تتمكن القوات الإسرائيلية من تحقيق أي نصر على هذه القوات العراقية .

بيد أن الهزيمة النكراء التي شملت الاستيلاء على أراضي من أربعة دول مصر وسوريا والأردن (ولبنان) جعلت من الحديث الواجب عن بطولة الجيش العراقي ودوره نوعاً من الأمور المُحرّمة.

في ذلك الوقت فإن روح الإمبريالية الأمريكية المصحوبة بالذكاء والخبرة انتهت إلى ضرورة المسارعة بالعبث في هذه الجبهة القوية التي لم تكن في حساباتها قبل الحرب.

هروب الجاسوس الطيار منير روبا بالطائرة السوفيتية

ومن الحق أن نقول إن الأمريكان كانوا قد بدأوا فتح أعينهم وأعين العالم على جبهة العراق حين تمكّن الجاسوس الطيار منير روبا (١٩٣٤ - ١٩٩٨) من الهروب بالطائرة السوفيتية الميج ٢١ إلى إسرائيل في ١٦ أغسطس ١٩٦٦ بتدبير من الموساد الإسرائيلي، وقد عُدّت هذه العملية من أنجح عمليات الموساد، وقد تمكّنت الموساد أيضاً من تهريب عائلة منير روبا من العراق.

ومع أن منير روبا في المؤتمر الصحفي الذي عقده له إسرائيل عند هروبه بالطائرة طلب اللجوء والهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية فإن طلبه لم يُجب بل لم يُسمح له بمغادرة الأراضي الإسرائيلية ، حتى إنه عاش فيها ثلاثين عاماً حتى توفي، وقد مُنح منير روبا الجنسية الإسرائيلية و مكافأة مالية فحسب .

ومن طريف ما يُروى أن هذا الطيار قُلد في خطفه للطائرة أحد أفلام جيمس بوند ، ومن ناحية أخرى فإن قصّة خطفه للطائرة نفسها صيغت في فيلم تلفزيوني أمريكي في ١٩٨٨.

التطور الذكي لسياسات التسليح العراقي

على كل الأحوال فإن هذين السببين المتمثلين في تطور التسليح العراقي الذي دل عليه حادث اختطاف الطائرة التي كانت الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا تتطلع لأن تطلع على أسرارها المذهلة (أولاً) ثم الأداء العسكري العراقي التحفزي و المتميز في حرب ١٩٦٧ (ثانياً) كانا بمثابة دافعين جوهريين للحرص على إقحام وإبقاء العراق في مشروعات قلائل لا تُتيح له الاستمرار في خطة تنموية ولا تعبوية، وهو ما كان يتطلب إزاحة رئيس عاقل من طبقة وطراز الرئيس عبد الرحمن عارف.

اتساق نهاية عهد عبد الرحمن عارف مع الموازين الدولية

وهكذا كانت نهاية عهد الرئيس عبد الرحمن عارف أمراً واضح الاتساق مع الموازين الدولية الحاكمة في ذلك الوقت.

ومن الجدير بالذكر أننا على الرغم من مُضي أكثر من خمسين عاماً على وقوع الانقلاب الذي أطاح بالرئيس عبد الرحمن عارف لم تُواجه نُصوصاً تُشير إلى أنه لجأ إلى أية قوة خارجية حين وقع الانقلاب، ولا أن أية قوة خارجية حاولت الاتصال به أو تأمين خروجه أو نفيه.

كان خروج الرئيس عبد الرحمن عارف من الحكم هادئاً على نحو ما كان دخوله إليه، وقد انتقل ببساطة شديدة إلى المنفى في إسطنبول لأنه لم تكن له خبرة بالحياة في الغرب مثل شقيقه الرئيس عبد السلام الذي كان قد عاش في ألمانيا ، كما أنه بذكائه أدرك أن القاهرة لن تكون مريحة له .

اعتزاله الصادق للسياسة

لم يُشارك الرئيس عبد الرحمن عارف في أي نشاط سياسي بعد خروجه من منصب الرئاسة ، بل إنه كما سنرى تقدّم بعد عشرين عاماً (١٩٨٨) بطلب للرئيس صدام حسين الحاكم القوي في العراق في ذلك الوقت كي يعود للإقامة في بغداد، وعاد، وعاش في هدوء حتى روى بعض الصحفيين في مقالاتهم أنهم كانوا يرونه في الحي الذي سكن فيه ، وهو يتسوّق مرتدياً الروب دي شامبر على الزي العراقي التقليدي.

نجاته من أمراض الكاريزما

ومع أن مُحبّي أو عشاق الضجة التي تتولد عما يسمونه بالكاريزما لا يزالون يستخدمون اسمه في السخرية الظالمة من طراز جميل و نبيل و نادر من الرؤساء

يعيشون الحياة الطبيعية فإن هذا لا يُقلل من قدره ولا من قيمته عند من يحترمون الحياة الطبيعية وعند من يحترمون الحياة الإنسانية والأنسنة التي لا تتوافر للذين يتولون السلطة فيفسدون ويفسدون. وقد كان الرئيس عبد الرحمن عارف ، كما ذكرنا ، إنسانا متميزا لا شك في ذلك حتى لو أنكر كثيرون أن تكون البساطة عظمة، وأن توجد زعامة إنسانية مع حياة خالية من العقد.

عودته من المنفى

كما ذكرنا من قبل فإنه في ١٩٨٨ و بعد عشرين عاما في المنفى عاد الرئيس عبد الرحمن عارف إلى العراق بإذن من الرئيس صدام حسين .

وفاته

فلما وقع الغزو الأمريكي للعراق آثر الرئيس عبد الرحمن عارف أن ينتقل إلى عمان في الأردن حيث عولج ، وحيث توفي في ٢٤ أغسطس ٢٠٠٧ ، بل و حيث دُفن في مقابر للشهداء العراقيين في مدينة المفرق على الحدود العراقية الأردنية .

الفصل الرابع : الرئيس أحمد حسن البكر

هل كان أفضل رؤساء العراق حظا ؟

على مدى تاريخه قبل الرئاسي كان الرئيس أحمد حسن البكر يخطو بصعود متواصل على نحو ما سوف نرى في قصة الانقلابات الثلاث الناجحة التي شارك فيها ونال ثمارها . ويبدو الرئيس أحمد حسن البكر فيما تبقى من صورته الآن وكأنه شخصية غامضة ، حتى وإن كانت شخصيته هذه صاحبة تأثير من أكبر التأثيرات في السياسة العربية المعاصرة ، فهو أول بعثي يصل إلى رئاسة الوزارة ثم إلى رئاسة الجمهورية بانقلابين عسكريين ناجحين (١٩٦٣ و ١٩٦٨) ، وذلك بعد أن شارك في الانقلاب العسكري الأول الذي سمي بثورة (١٩٥٨) ثم يشاء القدر أن يُنحى هو نفسه عن الرئاسة ١٩٧٩ بانقلاب طبي بحت، حيث نُسب إليه حقيقة أو زورا أنه مُصاب بالشلل الرُعاش ، فلم يعد قادرا على ممارسة السلطة ، بينما الحقيقة أن نائبه القومي الرئيس صدام حسين وجد أن الأمر لم يعد يحتمل بقاءه أمامه فأطاح به ثم تكفل الإعلام العربي بسحب الضوء من على صورته التاريخية كي تبدو باهتة أو غامضة في ظلال صنع صورة البطل الأسطوري الذي خلفه .

نال الرئاسة تدريجيا بثلاثة انقلابات عسكرية متوالية

نتأمل التاريخ اليوم فنرى هذا الرجل وكأنه كان ينفذ خطة خمسية في الانقلابات ١٩٥٨ ثم ١٩٦٣ ثم ١٩٦٨ ليصل بالانقلاب الثالث الى رئاسة الجمهورية بسهولة ويسر بينما السلطة المنتفخة الأوداج في مصر الناصرية تعض أصابع الندم ، وبينما السلطة المتعاركة مع نفسها في سوريا لا تعرف ماذا تفعل مع هذا البعث العراقي .

نشأته

ولد الرئيس أحمد حسن البكر في أول يوليو ١٩١٣ ، أي أنه كان أكبر سنا من أسلافه الثلاثة أي قبل عبد الكريم قاسم (١٩١٦ - ١٩٦٣) قائد الانقلاب العراقي في ١٩٥٨ ، وقبل عبد السلام عارف رئيس جمهورية الانقلاب الثاني (١٩٢٠ - ١٩٦٦) وعبد الرحمن عارف (١٩١٦ - ٢٠٠٧) لكنه في هدوء شديد اشترك في الحياة السياسية منذ البداية ونال درجاتها كلها بالتدريج .

ومن الطريف في تاريخه أنه كما وصل بثلاثة انقلابات فقد أبعد قبلها عن الطريق الصاعد ثلاث مرات لكنه عاد في كل مرة أقوى مما كان، حتى كان الإبعاد الأخير

قبل الموت بثلاث سنوات. وعلى نحو ما شارك الرئيس أحمد حسن البكر في ثلاثة انقلابات ناجحة فإنه يمكن لنا أن نقول إنه شارك في انقلابين فاشلين (على الأقل) ١٩٤١ وفي ١٩٥٩ .

اشتراكه في انقلاب ١٩٤١

عمل الرئيس أحمد حسن البكر في بداية حياته مُدرّسا لكنه التحق بالكلية الحربية بعد أن قضى في وظيفة التدريس ٦ سنوات أكسبته الصبر والقدرة على تحمل عدم اللمعان، وتخرج في الكلية الحربية عام ١٩٣٨ (أي في العام الذي تخرجت فيه في مصر دفعتان هما دفعة الرئيس السادات في فبراير ودفعة الرئيس عبد الناصر في يوليو) وبعد أن تخرج بثلاث سنوات انضم للانقلاب المُبكر الذي عُرف باسم ثورة رشيد عالي الكيلاني ١٩٤١، فلما فشل ذلك الانقلاب حُكم عليه بالسجن وأُجبر على التقاعد، كما حدث مثلا مع الرئيس السادات في مصر، لكن الرئيس أحمد حسن البكر لم يعد إلى الخدمة إلا في ١٩٥٧ وليس في مطلع ١٩٥٠ مثل الرئيس السادات أي أنه قضى ١٦ عاما بعيدا عن القوات المسلحة.

اشتراكه في انقلاب ١٩٥٨

كان الرئيس أحمد حسن البكر واحدا من الضباط الذين نفذوا انقلاب ١٩٥٨ أو ما يُسمّى بثورة ١٩٥٨ التي أنهت الملكية، لكنه انضم إلى ما عُرف باسم ثورة الموصل التي قادها الشواف ضد عبد الكريم قاسم (في ١٩٥٩) وانتهت بالفشل ومن ثم أُجبر على التقاعد في ١٩٥٩ أي بعد سنتين فقط من عودته للخدمة، كانت سنة منها في السلطة.

نجاحه في انقلاب فبراير ١٩٦٣

استطاع الرئيس أحمد حسن البكر من تحت ذقن الرئيس عبد الكريم قاسم أو من وراء ظهره أن يتوافق مع القوميين العرب، وأن يجعلهم يتوافقون مع حزبه الذي هو حزب البعث كما استطاع أن يضم إلى الضباط السياسيين من القوميين والبعثيين ضباطا آخرين مستقلين، وهكذا كُتب له النجاح في انقلاب فبراير ١٩٦٣ ضد عبد الكريم قاسم ، وهو الانقلاب الذي أنهى حكم عبد الكريم قاسم بل وأعدمه في نفس اليوم، وأذاع إعدامه في الإذاعة، وكان أحمد حسن البكر من الدهاء والاتزان بحيث وافق على أن يكون عبد السلام عارف رئيسا للجمهورية على أن يكون هو رئيسا للوزراء وهو المنصب الذي استمر فيه ٩ أشهر وعشرة أيام فقط .

اختلافه مع الرئيس عارف و تركه الحكم

وصلت خلافات البعثيين مع الرئيس عبد السلام عارف إلى نقطة اللا عودة، وأطاح عبد السلام عارف بحكومته وقدم البعثيين للمحاكمة بيد أنه أعفى الرئيس أحمد حسن البكر من العقوبات وإن أصبح الرئيس أحمد حسن البكر للمرة الثانية متقاعدًا لكن الرئيس عارف أعاده نائبًا له .

نجاحه في قيادة انقلاب يوليو ١٩٦٨

مرة أخرى ، و بعد سنوات ، استطاع الرئيس البكر من تحت ذقن الرئيس عارف أو من وراء ظهره أن يقود انقلابا ناجحا ويستولي على السلطة في ١٧ يوليو ١٩٦٨ و ذلك بعد تغير الأوضاع العربية بعد هزيمة ١٩٦٧ وضعف الموقف الفكري للقوميين، وعجز الناصريين (مرتين على الأقل) عن أن يستولوا على الحكم في العراق وهكذا نجح البعث العراقي في أن يستولي على السلطة بانقلاب .

عودته للسلطة وتوليئه رئاسة الجمهورية

وبهذا الانقلاب عاد أحمد حسن البكر لا إلى السلطة فحسب بل أصبح رئيسا للجمهورية أحد عشر عاما منذ ١٩٦٨ وحتى ١٩٧٩ حتى تمكن الرئيس صدام حسين من إزاحته بتقارير طبية في ١٦ يوليو ١٩٧٩

الحرص المريب على طمس أعظم إنجازاته

على مدى تاريخه الرئاسي حقق الرئيس أحمد حسن البكر عدة نجاحات، أهمها على الإطلاق هو ما لم يعد يذكر بسبب حقد العرب بعضهم على بعض ، وهو أن العراق شارك في حرب أكتوبر ١٩٧٣ وكانت مشاركة العراق على الجبهة السورية فاعلة ومؤثرة وناجحة ، وأنقذت سوريا من الضياع كما أنقذت دمشق من السقوط ، ولولا أن القوات المسلحة المصرية تحملت عبء وخسائر تطوير الهجوم حتي تمكن الجيش العراقي من الوصول للجبهة ودعم سوريا وإنقاذ دمشق لتغير شكل المعركة و نتائجها تماما .

لا شك في ان الفضل في هذه المشاركة الفاعلة يعود إلى كثيرين لكن الرئيس أحمد حسن البكر في مقدمتهم ، و يشترك معه في هذا الفضل زعماء كثيرون في مقدمتهم الرئيسان السادات والأسد والملك حسين الذي ساعد مساعدة فاعلة في حركة القوات العراقية .

الثقل القومي الذي اكتسبه العراق بمواقفه

بهذه المشاركة الجادة والذكية والناجزة في النصر الوحيد الذي حققه العرب اكتسب جمهورية العراق ثقلاً قومياً يتوازى مع ما تتمتع به من مكانة ، وأكسبت هذه المشاركة الجادة قوات الجيش العراقي خبرة ومهابة واحتراماً، عن جدارة واستحقاق، لكن مما يؤسف له أن موقف العراق التالي من سياسات السادات (ونجاحاته) عمد إلى إغلاق صفحة فخار يستحيل أن تطوى لكنها أغلقت مؤقتاً فقد كان لا بد أن يُلقى ستر التجاهل المتعمد على هذا الموقف العظيم ، فقد بنيت استراتيجية المقاربة الفكرية العربية لحرب أكتوبر على نحو لا يجعل العراق تفخر بدورها العظيم في تلك الحرب التي صورها كتاب مغرر بهم بتمويل عربي ثوري على أنها مسرحية .

الفضل يعود إلى وعي الرئيس أحمد حسن البكر المُبكر بالصراع

والحقيقة التي لا يمكن إنكارها (حتى وإن تغاضى الطرفان أو الأطراف عن ذكرها) أن الجزء الأكبر من الدور العراقي المشرف في حرب أكتوبر يعود إلى وعي الرئيس أحمد حسن البكر المُبكر بالصراع ، وذكائه وخبرته المعنوية والنفسية، وقد كان في هذه الجزئية متفوقاً بكثير على من خلفوه.

ذكاؤه في صياغة التوازنات الدولية

ثاني أهم المواقف أن الرئيس أحمد حسن البكر أمّن نفسه من ناحية جبهتي الاتحاد السوفييتي و الولايات المتحدة على نحو متزن ، فعقد معاهدة للصدقة مع الاتحاد السوفييتي في أبريل ١٩٧٢ كانت تالية لمعاهدة السادات معهم في ١٩٧١ ، وبهذه العلاقات التي كانت تسير في هدوء ضمن الرئيس البكر للبعث ولنفسه وللعراق سلاماً مع الماركسية والمنظمات العربية المرتبطة بالماركسية..

التمية الناجحة

ثالث الإنجازات خطة التمية الناجحة التي نُسبت فيما بعد إلى الرئيس صدام حسين وحده ، مع أن وجوده كنائب للرئيس البكر تعني مشاركة في الإنجاز، ولعل المؤشر الأهم على هذه التمية هو ما أعلنه اليونسكو (١٩٧٧) عن تقدم التعليم في العراق بصورة مذهلة، وقد كان هذا سابقاً على تولي الرئيس صدام حسين الرئاسة.

خبرته العالية في التعامل مع شركات النفط العالمية

رابع هذه المواقف الناجحة في حياة هذا الرئيس المخضرم أحمد حسن البكر أنه أجاد التعاون مع شركات النفط العالمية وبنى على ما نجح فيه كل من عبد الكريم

قاسم وعبد السلام عارف في هذا المجال ، وبفضل دأبه هو وأعوانه وصلت العراق إلى المكانة التي وصلت إليها في إنتاج النفط رغم ما هو مفهوم سلفا من أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن متحمسة لاستغلال المخزون النفطي على هذا النطاق الواسع في العراق اكتفاء بما كانت تستنزفه بهدوء من المواقع الأخرى .

علاقة عدنان خير الله به وبالرئيس صدام

من الطريف الذي لا يذكره أحد الآن، و ربما لا يعرفونه أن عدنان خير الله (١٩٣٩ - ١٩٨٩) وزير الدفاع العراقي وخال أولاد الرئيس صدام وابن خاله كان زوجا لابنة الرئيس أحمد حسن البكر السيدة هيفاء، والمتأمل لتاريخ عدنان خير الله مع المناصب التي تولاها يستطيع أن يُدرك أن بداية صعوده كانت على يد أحمد حسن البكر وليس على يد الرئيس صدام حسين . ومن الطريف أيضا أن هيثم ابن الرئيس أحمد حسن البكر كان زوجا للسيدة إلهام شقيقة عدنان خير الله . وهكذا كانت علاقة الرئيس صدام حسين وعدنان خير الله بالرئيس أحمد حسن البكر متعددة الأوجه حتى من ناحية النسب.

مناصبه التنفيذية والحزبية

جمع الرئيس أحمد حسن البكر رئاسة الوزراء مع رئاسة الجمهورية ما بين ٣١ يوليو ١٩٦٨ و ١٦ يوليو ١٩٧٩ إلى أن خلفه في هذين المنصبين معا الرئيس صدام حسين ، وكان قد بدأ توليه لرئاسة الجمهورية باسم رئيس مجلس قيادة الثورة . أما مناصبه الحزبية فقد سبقت رئاسته ، ذلك أنه أصبح أميناً قطريا للحزب في العراق منذ أكتوبر ١٩٦٦ وحتى خلفه الرئيس صدام حسين في مناصبه الثلاث (رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء وأمانة الحزب القطرية) وكان قد تولى هذا المنصب الحزبي مرة سابقة ما بين نوفمبر ١٩٦٣ وفبراير ١٩٦٤ كذلك فقد تولى الرئيس أحمد حسن البكر وزارة الدفاع ما بين نوفمبر ١٩٧٤ وأكتوبر ١٩٧٧ ، حيث خلفه زوج ابنته عدنان خير الله الذي هو كما ذكرنا شقيق زوجة ابنه أيضا .

وفاته

بقي الرئيس أحمد حسن البكر بعيدا عن السلطة حتى توفي في ٤ أكتوبر ١٩٨٢ قبل مرور عام إلا يومين على وفاة الرئيس السادات الذي قضى مثله ١١ عاما كاملة تماما في الرئاسة، وإن كانت رئاسة البكر في بدايتها ونهايتها سابقة بعامين وثلاثة أشهر على رئاسة السادات .

دفن الرئيس أحمد حسن البكر في مقبرة الكرخ في بغداد.

الباب الثاني : اليمن

الفصل الخامس : الإمام أحمد ملك اليمن

و انتقاده التجربة الناصرية في أرجوزة متعقلة

هذه أرجوزة طريفة تلخص رؤية كلاسيكية ناقدة لمقومات الفكر الناصري بطريقة عاقلة متعقلة تخلو من الحماسة المتوقعة كما تخلو من العداوة المتأججة أو الهجاء المقذع ، ولهذا فإنها لم تحتل مكانا بارزا في الأدبيات السياسية رغم ما هي حافلة به من المعاني الإنسانية والفكرية .

التعريف بالإمام أحمد ملك اليمن

كتب هذه الأرجوزة الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين ١٨٩١- ١٩٦٢ ملك المملكة المتوكلية اليمنية (هكذا كان اسمها) ، موجها كلماتها إلى الرئيس جمال عبد الناصر عقب الوحدة بين مصر وسوريا ، وكان اليمن قد انضم بقيادته إلى هذه الوحدة لتصبح وحدة ثلاثية لايزال التاريخ المصري يتجاهلها عن قصد مقصود .

مديح العرب و الحث على وحدة الصف

يبدأ الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين ملك اليمن أرجوزته بمدح العرب وذكر أمجادهم التاريخية مذكرا بما دعا إليه القرآن الكريم من وحدة الصف من أجل الحق :

نصيحة تهدي إلى كل العرب / ذوي البطولات العظام والحسب
نصيحة تحرك الضمائر [١] / وتوقظ القلوب والمشاعر [١]
وتستنير نخوة الأجداد / وشيم الأكارم الأمجاد
من شرفوا ألسنهم عن الخنا / وللحمى والعرض كانوا أصونا
نصيحة أزفها إليهم / عسى أرى قبولها لديهم
أن يذكروا ما جاء في (القران) / من حكم معجزة البيان
تدعوهم لألفة القلوب / ووحدة الصفوف في الخطوب
وأن يكونوا كالبنائ المرصوص / فيسلموا مذمة النكوص
ويرفعوا في قمة المجد علم / وينصروا الحق إذا الخطب أدلهم
وينشروا مبادئ الإسلام / والعدل والسلام في الأنام

ضرورة الوحدة في مواجهة العدو

ويحرص الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين على الإشارة إلى أن الوحدة ضرورية في مواجهة العدو ، وأنه لا بد من الاعتصام بحبل الله على نحو ما أوصانا نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام :

فقد أتى في محكم التنزيل / ما لا مجال فيه للتأويل
كونوا على عدوكم أعوانا / ورحماء بينكم إخوانا
أعزة عند اشتداد البأس / لا يستلين عزمكم لليأس
واتبعوا ما انزل الله لكم / وأخلصوا لوجهه أعمالكم
واعتصموا بحبله جميعا / واجتنبوا الفرقة والتشيع [1]
وكم أتى على لسان أحمد / من الهدى إلى السبيل الأرشد
كم حثنا لوحدة الصفوف / ونبذ كل مبدأ سخيّف
وكم دعانا للاخا والحب / والبعد عن قول الخنا والعجب
هذي التعاليم التي علمنا / خير رسول جاء رحمة لنا

استنكار الشقاق

ثم يستنكر الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين ، في محور ثالث ، على العرب وقوعهم في الخصام والفرقة والتشتت والعبث والبعد عن طريق الحب و الإكثار من الحديث الجالب للبغضاء والكراهية :

فما دعاكم يا بني العرب إلى / هذا النزاع والخصام والقلبي
ومالكم حدثم عن الطريق؟ / وعبثت فيكم يد التمزيق
وأصبحت قلوبكم أشتاتا / ليست تعير رثدها التفاتا
فأدرك العدو منكم أمله / وفتّ زندكم وحز مفصله
مالي أراكم تملئون الأرض [1] / قولاً يفيض حسداً وبغضا
وتفعمون الجو بالشتائم / وتصفعون جبهة المكارم
وتصرخون من فم المذياح / بكل صوت ناشز الإيقاع

بعض العرب أصبحوا لعنة في جبهة السماء

ثم نرى الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين ، من جهة رابعة يستنكر و يستكثر ، ما وقع فيه العرب المعاصرين له من الانشغال بالخلاف فيما بينهم عن مواجهة العدو ، مخالفين بهذا دينهم القويم ، وهو هنا يجد الشجاعة في نفسه لكي يصف ما وصل

إليه حال العرب بهذه الممارسات بأنهم أصبحوا عارا على آبائهم بل يصفهم بأنهم أصبحوا لعنة في جبهة السماء "

كم تشتمون بعضكم بعضا وكم / هتكتم يا قوم جانب الحرم
أقلقتم مضاجع الآباء / ولم تصونوا ذمة الوفاء
واستحيت الامجاد منكم والشرف / وسخرت منكم عناوين الصحف
وابتسم العدو بسمة الظفر / كأنما احتل حماكم وانتصر
نسيتم عدونا المشترك [1] / وصرتم بعضا لبعض شركا
شنتم الحروب فيما بينكم / وخنتم العهد الذي يصونكم
ولم تراعوا حرمة الإسلام / ولا شعار القادة العظام
فصرتم عارا على الإباء / ولعنة في جبهة السماء
وصيرتكم شهوة الأطماع / سفينة تاهت بلا شراع
هل من عودة الى الصواب والحق وصفاء النفس

وها هو الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين ، على صعيد خامس يحاول دفع العرب الى العودة الى الصواب والحق وصفاء النفس :
فهل تعودون الى الرشاد / وتغسلون درن الأحقاد
وتقطعون ألسن السباب / وتغلقون عنه كل باب
وتتبدون الكيد والخداع [1] / والعجب والغرور والأطماع [1]
متى تكفرون عن أخطائكم / وتأخذون الدرس عن آبائكم
وتجمعون صفكم كي تضربوا / أعداءكم وتعمروا ما خربوا
هيا فقد آن الأوان وانتهت / عصور ذل سيطرت واستحكمت
خضعتم فيها لأمر الأجنبي / وذاب فيكم كل عرق عربي
هيا بنا نبني صروح الأمة / ونرتقي للمجد أعلى قمة
فبينتشي تاريخنا افتخارا / وتركع الدنيا لنا إكبارا

عيوب الاتجاه الاشتراكي الذي يفخر به الرئيس عبد الناصر

ثم يصل الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين في محور سادس إلى المناداة بل والقبول بوحدة عربية تعتمد على شريعة الإسلام و تخلو من عيوب الاتجاه الاشتراكي والتأميم وسلب أموال الناس بدون مبرر .. وهو يجاهر بالقول بأن هذه التصرفات تفتقر إلى الدليل الشرعي أو العقلي ، مشيدا في الوقت نفسه بما في الشريعة من مبادئ العدل الاجتماعي :

هيا بنا لوحدة مبنية / على أصول بيننا مرضية
قانونها شريعة الإسلام / قدسية الأوصاف والأحكام
ليس بها شائبة من البدع / تجيز ما الإسلام عنه قد منع
من اخذ مال للناس من أموال / وما تكسبوا من الحلال
بحجة التأميم والمعادلة / بين ذوي المال ومن لا مال له
لأن هذا مال له دليل / في الدين أو تجيزه العقول
فاخذ مال الناس بالإرغام / جريمة في شرعة الإسلام
ولا يجوز أخذ مال الغير / إلا بان يرضى بدون ضير
والدين قد سن الزكاة فينا / طهارة لما حوت أيدينا
يعيش منها العاجز المحروم / ويسعد الحاكم والمحكوم
وليس في مقدارها إجحاف / ولا خلا من أمرها الإنصاف
الأخلاق الكريمة تحقق الاستقرار وتمحو الآثام

وعلى صعيد سابع يتحدث الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين عن إصلاح الأخطاء
مذكرا الزعماء بأن الأخلاق الكريمة تحقق الاستقرار وتمحو الآثام :

وممكن إصلاح ما قد كنا / ومحو ما قد غير الأذهان [1]
وعودة الماء إلى مجراه / فينعم الشعب بما يهواه
ويستتب الأمر في البلاد / وينزل الخصب بكل وادي
وليس في العود إلى الصواب / مذمة لدى أولي الألباب
فالحسنات تقتل الآثام [1] / وتذهب الأحقاد والأوهام [1]
والبغض قد يغدو إلى وئام / اذا محوت الذنب بالإكرام
فان وعيتم يا ولادة الأمر / نصحي أمنت غائلات الدهر
وسدتم الدنيا بكل فخر / وجئتم الأخرى بكل اجر
والله يهديكم إلى الرشاد / ويبسط الخير على العباد

الفصل السادس : محمد محمود الزبيري

زعيم اليمن الشهيد الذي هو أعظم الساسة العرب ثقافة

ليس بين الساسة العرب المعاصرين من يفوق الأستاذ الشيخ محمد محمود الزبيري ١٩١٠- ١٩٦٥ في الاحتفاظ بمكانة سامقة و سابقة في الأدب والعلم والفكر والثقافة على وجه العموم ، و ليس في هذا القول مبالغة فهو العالم الشاعر الخطيب المعلم القاضي الفقيه الزعيم الثائر ، فضلا عن هذا فقد كان نموذجا نادرا في العصر الحديث للنوابغ من النبلاء من فرسان عصور النهضة الذين كانوا يتمتعون بالتفوق الساحق في شتى الميادين ، ويجمعون الأمجاد جمع المقتدرين المخططين لا جمع المضطرين أو المتوافقين .

رمز الثورة للحق وبالحق

وليس بين الساسة العرب المعاصرين من يفوق الرئيس محمد محمود الزبيري قدرة على الثورة للحق وبالحق ، وإذا قلنا إن هذا الرجل العظيم الذي استشهد وهو في الخامسة والخمسين من عمره كان قد أعدّ نفسه للبطولة والفداء والخلود فلا إخالنا نبالغ في هذا الحكم الذي نلخص به حياة هذا الزعيم نادر الوجود الذي كان إشعاعه المتوهج في الحياة السياسية اليمنية قادرا على أن يستنهض همّة الأمة على نحو ما نهضت من قبل وأن يحقق بهذه النهضة الوثابة ما عجز عنه بعض من تصدّوا لقيادة حركتها الثائرة بسبب ما كانوا يعانونه ويستمتعون به من اضطراب النية و قصور الهمة في كثير من الأحيان.

أسرته العريقة

كانت أسرة الزبيري التي نشأ فيها شاعرنا الزعيم محمد محمود الزبيري من الأسر الصنعانية العريقة التي نبغ فيها قضاة وعلماء وشعراء، فقد كان جدّه القاضي لطف الباري محمد محمود الزبيري شاعراً؛ وكان من أسرته أيضاً لطف الله الزبيري الذي هو من علماء و شعراء اليمن المعروفين، كما اشتغل والده محمود محمد محمود الزبيري بالقضاء.

وليس من قبيل المبالغة ما يقال من أن الزعيم محمد محمود الزبيري ولد عالما قاضيا بحكم نشأته في بيت العلم والقضاء ، لكنه وقد حاز المجد في نشأته نزع إلى

العالم الروحي مُتجاوزا إطار الحياة الصوفية بفرقها المختلفة إلى الفكرة الصوفية بمنظورها النفسي المستهدف لراقي الإنسان.

التقدمية في فكره السياسي والاجتماعي

تطور فكر الأستاذ محمد محمود الزبييري السياسي والاجتماعي مع الزمن من دون أن يفقد سموه و رقيه ، فقد بدأ مثاليا طموحا وظل يرتقي بهذه المثالية بالأدب والفن من أجل إقناع الجماهير وتوجيه حركة القوى الاجتماعية حتى استشهد وهو لا يزال طموحا إلى المثالية وعاملا من أجلها.

عاش الأستاذ الشهيد محمد محمود الزبييري طيلة حياته كما وصفه بعض أئداده طلق المحيا، يهشّ في وجوه الجميع، ويتناول القضايا والمشكلات بأسلوب متوازن من حيث فهمها واستقصائها وتشخيصها و علاجها، كان على طريقة رجال القضاء يستمع إلى آراء الجميع وينحاز إلى الرأي الذي يعضده الدليل وقوة البرهان، فيستهدي الزعماء معه إلى رأي سديد.

صداقاته وانتماءاته الصادقة للمتففين

كان الأستاذ محمد محمود الزبييري صديقا لكثيرين من أهل الفكر والثقافة ممن اختلطوا بالسياسة وبالزعامة وممن تفرغوا للأدب ومن هؤلاء صديقه الشاعر العظيم علي أحمد باكثير. و كان ملماً إماماً متميزا باللغة الأوردية وقد نشرت مجلة (المسلمون) في عام ١٩٥٣م قصيدة كتبت في الأصل باللغة الأوردية، ترجمها إلى العربية وأعاد نظمها الشاعر محمد محمود الزبييري . كما روى الأستاذ أحمد الجدع أن الشاعر عمر بهاء الدين الأميري أنشده مساجلات شعرية كانت تدور بينهما وتربو أبيات القصيدة الواحدة على منتي بيت في بعض الأحيان. وأنه يُعدّ هذه المساجلات ليطلعها في كتاب بعنوان : مع القاضي محمد محمود الزبييري.

كان الشاعر محمد محمود الزبييري كذلك نموذجا فذا ومعبرا عن عبقرية الساسة المتحضرين وقد اجتمعت عليه القلوب، ووثق به أبناء شعبه لإخلاصه وصدقه ونزاهته وطهارته، و كان من الذين يصدق عليهم وصف أهل الإيمان بأن جهادهم السياسي كان في سبيل الله وابتغاء مرضاته. و كان من الذين يعتقدون عن يقين في أن الإسلام يمثل المنهج الأمثل لحياة الأمم والشعوب والأفراد والجماعات والدول والحكومات، ومن ثم فلا بد من توحيد الجهود لاستلهاام النظم الإسلامية المستمدة من الدين العظيم.

النهج الإسلامي في الفكر السياسي اليمني

الي الأستاذ محمد محمود الزبيري يعود جزء كبير من الفضل في التمكين الذكي لعناصر ومقومات النهج الإسلامي في أدبيات وممارسات الفكر السياسي اليمني المعاصر، وفي الإفادة من الإسلام : عقيدة وشريعة ومجتمعاً ونظاماً ، على أن الأهم من هذا أنه ترك أتباعاً و مرريين من الساسة اليمنيين مما يجعل المسلم يستدعي من الذاكرة وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : «جاءكم أهل اليمن ألين قلوباً وأرق أفئدة» وقال: «الإيمان يمان، والحكمة يمانية»

أدى الشاعر محمد محمود الزبيري فريضة الحج في العام ١٩٣٧ ، والتقى الملك عبد العزيز آل سعود وألقى قصيدة في الحفل السنوي الذي يقيمه الملك لكبار الحجاج نشرت بجريدة (أم القرى) وبقي الشاعر محمد محمود الزبيري بعد الحج مجاوراً في مكة المكرمة لبعض الوقت مما أتاح له الفرصة لبناء علاقات إسلامية وعروبية عميقة .

لقاؤه بالإمام الشهيد حسن البنا

وفي موسم الحج ذاته بدأت علاقة الأستاذ الرئيس محمد محمود الزبيري بالإمام الشهيد حسن البنا و بالإخوان المسلمين في مصر ، فلما انتقل للدراسة في مصر في ١٩٣٩ توثقت علاقته بالأستاذ وبالجماعة وبالأستاذ الفضيل الورتلاني، وأسس في ذلك الوقت كتبية الشبان اليمنيين (سبتمبر ١٩٤٠) لكنه بعدما عاش في مصر وألفها والتحق بدار العلوم وعاصر مجدها وجد أن واجبه تجاه بلاده يُناديه أن يعود إليها فيخلق فيها روح نهضة وثابة لا تفتقد مقومات ما هو موجود في القاهرة العامرة.

بداية جهاده : السجن

عاد الرئيس محمد محمود الزبيري إلى اليمن وبدأ جهاده بأن قدّم مذكرة للإمام يحيى تتضمن مشروعاً لإنشاء جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في صنعاء ، وخطب لصلاة الجمعة في صنعاء خطبة كان حماسها كفيلاً، بأن يغضب الإمام يحيى و أن يقوده إلى السجن مباشرة .

هكذا سُجن الرئيس محمد محمود الزبيري في سجن الأهنوم في صنعاء، ثم خرج من السجن فاتجه إلى تعز.

وبدأ الرئيس محمد محمود الزبيري يُفكّر بعد خروجه من السجن في أن يستعين بولي العهد على الإصلاح، وكأنه كان على وشك أن يُكرّر تجربة الأفغاني مع

الخدوي توفيق في عهد أبيه الخديو إسماعيل، وقد وافقه كثيرون من مثقفي اليمن على هذا التحالف لكنهم سرعان ما اكتشفوا قبل فوات الأوان عبثية مثل هذه الفكرة، ولهذا أثر الزعيم القاضي محمد محمود الزبيري أن ينتقل بدعوته إلى عدن بعيدا عن بطش الإمام .

وفي عدن بدأ الرئيس محمد محمود الزبيري يؤسس الكيانات الثورية التي كان له الفضل في وجودها فبدأ بأن أسس مع رفيق كفاحه الأستاذ أحمد محمد النعمان (١٩٠٩ - ١٩٩٦) حزب الأحرار في عدن في يونيو ١٩٤٤ وأصدر صحيفة "صوت اليمن".

أولى ثورات اليمن

ثم وجد المهمة أكبر من الاسم فتحول باسمه ليكون الجمعية اليمنية الكبرى (يناير ١٩٤٦ - ١٩٤٨) وهي الجمعية التي اشتركت في القيام بأولى ثورات اليمن في ١٩٤٨ على الإمام يحيى حميد الدين ١٨٦٩ - ١٩٤٨ ، وهي الثورة التي أصبح الرئيس محمد محمود الزبيري بعدها من رجال الدولة وزيرا للمعارف .

ظل الأستاذ النعمان شريكا للزبيري في كفاحه، وعلى حين كان الرئيس محمد محمود الزبيري رئيسا للجمعية اليمنية الكبرى، فقد كان الأستاذ النعمان أمينها العام ، وقد تضمن برنامج تلك الجمعية: الدستور والحياة النيابية والحريات والمساواة وكل ما من شأنه أن تقوم به حياة سياسية قومية على أرض اليمن

المنفى الاختياري في باكستان

فلما فشلت ثورة ١٩٤٨ بعد عمر قصير جدا وكان لابد له من أن يغادر اليمن وجد الدول العربية كافة لا ترحب به، فآثر السفر إلى باكستان وهناك التقى باتنين من السفراء المتقنين : السفير المصري الدكتور عبد الوهاب عزام والسفير السوري الشاعر بهاء الدين عمر الأميري .

العودة للقاهرة

فلما قامت ثورة ١٩٥٢ عاد إلى القاهرة هو والأستاذ النعمان واستأنفا نشاطهما فيها وأصبحا ملاذا و مثابة و مرجعا لأهل اليمن الذين يخططون للثورة. وقد أسسا الاتحاد اليمني ١٩٥٣ - ١٩٦٢ .

انقلاب الضابط أحمد الثلثيا

و اعتمد الرئيس محمد محمود الزبيري على الفكر في إشعال الثورة على الرغم مما كان يلقاه من الإحباط ، ومما يؤثر عنه في ذلك الوقت قوله: "كنت أحس إحساسا

أسطوريا بأنني قادر بالأدب وحده على أن أخوض ألف عالم من الفساد والظلم والطغيان"

وفي سنة ١٩٥٥ حدثت محاولة انقلاب الضابط أحمد الثلايا ضد الإمام أحمد ابن يحيى بن حميد الدين ولكنها فشلت وأعدم الثلايا ، و بالطبع فقد ازدادت الرقابة على الزبيري و رفاقه .

ثورة ١٩٦٢

ثم قامت ثورة عبد الله السلال في ١٩٦٢ على الإمام أحمد (١٨٩١ - ١٩٦٢) و عاد الرئيس محمد محمود الزبيري إلى صنعاء فاستقبل استقبالاً أسطوريا وأصبح مرة أخرى وزيرا للمعارف ثم نائبا لرئيس الوزراء وعضوا في مجلس الثورة. كان الرئيس محمد محمود الزبيري سرعان ما تحول في ١٩٦٣ إلى ما قد يوصف بأنه معارضة السلطة المصرية الموجودة على أرض اليمن و ذلك من دون أن يكون من الملكيين، وكان من الصعب على النظام الناصري أن يتفهم مثل هذا الوضع، وهكذا فإنه اعتبر الرئيس محمد محمود الزبيري وأتباعه من الأعداء. لكنه أثر الاستقالة في ١٩٦٤ بعدما رأى البلاد تندفع فيما دفعه إليها قادة العرب من الحرب الأهلية، و استأنف الرئيس محمد محمود الزبيري جهاده على صعيد كان يتطلب شخصية من طرازه بصفاته ومكانته وهو ميدان الإصلاح بين القبائل، واشترك في مؤتمرات الصلح في "كرش" و "عمران" والسودان، لكن جهوده باءت بالفشل كما هو متوقع .

فكرة حزب الله

عند هذا الحد بدأ الرئيس محمد محمود الزبيري يُفكر في إنشاء حزب يتجرّد للقضية تحت راية الإسلام وكان هو صاحب التسمية التي أخذها غيره بعد ذلك وهي "حزب الله" (١٩٦٣) وقد ضم إليه الأستاذ عبد الملك الطيب والشيخ عبد المجيد الزنداني، وبدأ يدعو الملكيين والجمهوريين إلى الانضمام إليه، وأعاد إصدار صحيفته القديمة "صوت اليمن" لتكون لسان حزب الله .

وفيما بعد كان الشيخ عبد الله الأحمر من أبرز مُعاوني الرئيس محمد محمود الزبيري حتى قال فيه مقولته المشهورة "لولا أن الله ساق لنا هذا الشاب ما استطعنا أن نأمر بمعروف أو ننهي عن منكر"، ولما بدأت أسهم حزبه في الصعود تملمت من نشاطه و وجوده قيادات الملكيين والجمهوريين على حد سواء ، وكان لا بد لهما

من الخلاص منه ، سواء بأيدي الملكيين أو الجمهوريين ولم يطل الأمر به فقد استشهد في أول إبريل ١٩٦٥ فكان يوم رحيله من أسوأ أيام اليمن في عصرها الحديث. ومع هذا فقد انعقد مؤتمر "خمر" الذي كان يُعدّ له.

أثاره

أما آثار الرئيس محمد محمود الزبيري الشعرية فتهدى له مكانة متقدمة بين الشعراء الإسلاميين في كل العصور
دواوينه الشعرية المطبوعة ثلاثة:

- صلاة في الجحيم
- ثورة الشعر
- نقطة في الظلام
- قصيدة عالم الإسلام ألقاها في باكستان في مؤتمر حاشد
- في سبيل فلسطين قصيدة من روائع الشعر الذي صور النكبة والأمل
- ثورة : قصيدة من الحماسة

رواية:

مأساة واق الواق (وهي على نهج رسالة الغفران للمعري)

أما مؤلفاته السياسية فمنها:

- الإمامة وخطرها على وحدة اليمن
- الخدعة الكبرى في السياسة العربية
- مطالب الشعب
- دعوة الأحرار ووحدة الشعب

وهذا هو نص القصيدة السينية الشهيرة

هذا هو السيف والميدان والفرس / واليوم من أمسه الرجعي ينبجس
ما أشبه الليلة الشنعاء ببارحة / مرت واشنع من يهوى وينتكس
كأن وجه الدجى مرآة كارثة / يرتد فيها لنا الماضي وينعكس
وكل من رام قهر الشعب متجه / لها يريد الهدى منها ويقتبس

مدعو الثورية يقلدون الامام في كل شيء

يقلدون أفاعيل الامام ولو / رأوه يرفس من صرع به رفسوا
هذي القوانيين رؤياه تعاودهم / قد اليسوها لباس العصر والتبسوا
احالت الحمل للمسكين يحمله / فيها يزمر مزهوا ويفترس

روح الإمامة تجري في مشاعرهم / وان تغيرت الاشكال والاسس
متى حكمتم بقانون وقد قتل الالاف / او سحقوا كالدود او كنسوا
عار على صانع القانون يكتبه / وحكمه في بحار الدم منغمس

الخداع لا يفيد

كفى خداعا فعين الشعب صاخبة / والناس قد سئموا الرؤيا وقد يئسوا
والبدر في الجرف تحميه حماقتكم / وانتم مثلما كنتم له حرسُ
لولاكم لم يقيم بدر ولا حسن / ولم يعد لهما نبض ولا نفس
لم القوانين وفن الموت في يدكم / والحق رآدكم والحق مرتكس
وانتم عودة للامس قد قبر الطغاة فيكم / وعادوا بعدها اندرسوا

انتم طبعة جديدة منقحة من الظلم

وانتم طبعة للظلم ثانية / تداركت كل ماقد اهملوا ونسوا
ان شئتم فاقتلوا من ليس يعجبكم / او من ترون له في قريكم دنس
واحرقونا بغاز كل ما اجتمع الاحرار / او فكروا في الرشد او حدسوا
وعاتبوهم متى شئتم عتابكم الطاغي / اذاسلعوا في النوم او عطسوا
من حظكم ان هول الامس مستتر عنكم / وان شعاع الشمس منطمس
وان صوت الخراب الفظ اغنية / تترتاح انفسكم منها وتاتنس
اوراقتكم لشراء الشعب تذكرنا / ماباعه قسس بالصك واختلسوا
أنتكرون عليهم بيع جنتهم؟ / ياقوم لاتخذعونا كلكم قسس

قانونكم مهزلة

قانونكم لاغتصاب الشعب مهزلة / كنزها ت امام مسه الهوسُ
والحكم بالغصب رجعي نقاومه / حتى ولو لبس الحكام ما لبسوا
والظلم يلغنه القانون نفهمه ظلما / وان زينوا الألفاظ واحترسوا
والموت من مدفع (حر) نقول له / موتا وان أو همونا انه عرسُ
والمستشارون في القانون لو حضروا / حرباً لما كتبوا شخصاً ولا نبسوا
يلفقون قوانين العبيد لنا / ونحن شعب أبي مارد شرس !
ليت الصواريخ أعطتهم تجاربها / فأنها درست أضعاف ما درسوا

قصيدته ثورة

نظم القاضي محمد محمود الزبيري هذه القصيدة الميمية المعبرة بعنوان (ثورة)

و جاء فيها:

سَجَلْ مكانك في التاريخ يا قلمُ فما هنا تُبعث الأجيال والأُممُ
هنا القلوب الأبيات التي اتحدت هنا الحنان، هنا القربى، هنا الرحمُ
هنا الشريعة من مشكاتها لمعت هنا العدالة والأخلاقُ والشيمُ

ثورة البراكين

هنا البراكينُ هبّت من مضاجعها تطغى وتكتسح الطاغى وتلتهمُ
شعبٌ تفلّت من أغلال قاهره حرّاً فأجفل منه الظلمُ والظلمُ
نبا عن السجن ثم ارتدّ يهدمه كي لا تُكبل فيه بعده قدمُ
قد طالما عذبه وهو مصطبرٌ وشدّ ما ظلموه وهو محتكمُ

القيود أصبحت سهاماً

إن القيود التي كانت على قدمي صارت سهاماً من السجن تننقمُ
إن الأنين الذي كنّا نردده سرّاً غداً صيحة تُصغي لها الأُممُ
والحق يبدأ في أهات مكتئبٍ وينتهي بزئير ملوهُ نَقَمُ
جودوا بأنفسكم للحق واتحدوا في حزبه، وثقوا بالله واعتصموا

قصيدته بعد خروجه من السجن

خرجنا من السجن شمّ الأنوف كما تخرج الأسد من غابها
نمرّ على شفرات السيوف ونأتي المنية من بابها
ونأبى الحياة إذا دُنست بعسف الطغاة وإرهابها
ونحتقر الحادثات الكبار إذا اعترضتنا بأتعابها
ونعلم أن القضا واقعٌ وأن الأمور بأسبابها
وإن نلق حنقاً فبها حبذا المنايا تجيء لخطابها

قصيدة عن الوطن الفلسطيني السليب : (في سبيل فلسطين):

ما للدماء التي تجري بساحتها هانت، فما قام في إنصافنا حكم
ما للظلم الذي اشتدّت ضراوته في ظلمنا، نتلقاه فنبتسم
نرى مخالفه في جرح أمتنا تدمى، ونسعى إليه اليوم نخنصم
يا قادة العرب والإسلام قاطبة قوموا فقد طال بعد الصبح نومكم

من قصيدته في وصف حال الشعب اليمني

ماذا دهى قحطان في لحظاتهم بؤس، وفي كلماتهم ألامُ
جهلٌ وأمراضٌ وظلمٌ فادحٌ ومخافةٌ ومجاعةٌ و(إمامٌ)!
والناس بين مُكبلٍ في رجله قيدٌ وفي فمه البليغ لجام

ومن قصيدة له في محاربة الظلم

علتُ بروحي هموم الشعب وارتفعتُ بها إلى فوق ما كنت أبغيه
وخولتني الملايين التي قُتلتُ حق القصاص على الجلاذ أمضيه
أحارب الظلم مهما كان طابعه البراق أو كيفما كانت أساميه
جبين جنكيز تحت السوطِ أجلده ولحم نيرون بالسفود أشويه
سيان من جاء باسم الشعب يظلمه أو جاء من (لندن) بالبغى يبغيه
(حجاج حجة) باسم الشعب أطرده و عنق (جونبول) باسم الشعب ألويه

دراسات عن الزبيري

- وضعت مؤلفات عديدة عن الزعيم الشاعر محمد محمود الزبيري تناولت جوانب من حياته ونضاله وشعره نذكر منها:
- محمد محمود الزبيري أديب اليمن الثائر: رسالة علمية للدكتور عبد الرحمن العمراني.
 - محمد محمود الزبيري شاعر اليمن: للأستاذ هلال ناجي.
 - محمد محمود الزبيري ضمير اليمن الثقافي: للدكتور عبد العزيز المقالح.
 - محمد محمود الزبيري من أول قصيدة وحتى آخر طلقة: للأستاذ عبدالله البردوني.
 - محمد محمود الزبيري الشهيد المجاهد: للأستاذ عبد الرحمن طيب بعر.
 - التاريخ يتكلم - وثائق - : للأستاذ عبد الملك الطيب. -
 - شعر محمد محمود الزبيري : للدكتور رياض القرشي.
 - محمد محمود الزبيري شاعراً ومناضلاً: لمجموعة من الكتاب اليمنيين.

الفصل السابع : الشاعر أحمد النعمان

الزعيم اليمني الذي قهر الناصرية بالشعر الساخر

كان الأستاذ الشاعر أحمد محمد النعمان (١٩٠٩ - ١٩٩٦) من رجال الدولة اليمنية البارزين قبل ثورة ١٩٦٢ ، وبعدها ، ولم يكن من صنع السياسة الناصرية أو اختراعاتها ، وإنما كان من أبرز الساسة التكنوقراطيين البارزين الذين جمعوا الكفاءة المهنية مع الحس السياسي والممارسة الوطنية واستوفوا مقومات الزعامة المبكرة والزعامة الراسخة على حد سواء.

نشأته

ولد الأستاذ الشاعر أحمد محمد النعمان في ٢٦ أبريل ١٩٠٩ في قرية ذو لقيان عزلة ذبحان قضاء الحجرية لواء تعز، وتلقى تعليماً متميّزاً، وعمل بالتعليم وأصبح في ١٩٤١ مديراً للتعليم في تعز ، وبالطبع فإنه أيد ثورة اليمن التي قادها عبد الله الوزير ١٩٤٨ في اليمن وأصبح وزيراً للزراعة في الوزارة التي تشكلت عقب انقلاب ١٩٤٨، ثم أصبح مستشاراً لولي العهد محمد البدر في ١٩٥٥ ومستشاراً عاماً للمعارف ١٩٥٥ .

اختمار الثورة في القاهرة

انتقل الأستاذ أحمد محمد النعمان إلى القاهرة مشاركاً القاضي محمد محمود الزبيري في نشاطه الدائب واستأنفاً نشاطهما فيها وأصبحا ملاذاً و مثابة و مرجعاً لأهل اليمن الذين يخططون للثورة. وقد أسس الاتحاد اليمني ١٩٥٣ - ١٩٦٢ وأصبح الأستاذ النعمان رئيساً للاتحاد اليمني (١٩٥٥ - ١٩٦٢) .
لما قامت الثورة اختير الأستاذ النعمان وزيراً للحكم المحلي (١٩٦٢) . لكنه اختلف مع القيادة المصرية.

و ليس من الغريب أن نعرف أن الرئيس جمال عبد الناصر الذي ساند ثورة المشير عبد الله السلال في اليمن (١٩٦٢) سرعان ما أساء معاملته قادة هذه الثورة على نحو ما كان يُسيء معاملته السياسيين المصريين الذين عملوا معه أو عملوا فيما قبل ثورة ١٩٥٢، فقد كان يتلذذ بهذه القسوة في معاملته الزعماء متى وجد إليها طريقاً.

عصر المشير السلال

و من ناحية أخرى فقد كان نظام الرئيس عبد الناصر وليس الرئيس وحده يعتبر أن المشير السلال ورفاقه موظفون فحسب في النظام الناصري ليس لهم ولا عليهم إلا الطاعة، بل ليس لهم ولا عليهم إلا الانقياد ، فإذا أرادوا أن يعبروا عن رأي أو عن شكوى أو عن طلب فإن عليهم أن يتلطفوا وأن يسعوا في كل سبيل ليجدوا من يكفل التوصية عليهم ، وإقناع النظام الناصري أن هذا الطلب يصب في مصلحة الزعامة الناصرية، أما أن يكون هذا الطلب مُعبّرا عن رغبة يمنية أو إرادة شعبية أو منطق عقلي أو طبيعة إنسانية، فذلك ما لا حق لهم فيه ألبتة .

وهكذا أصبح الأستاذ نعمان من الساسة اليمينيين الذين غررت بهم السلطة الناصرية فدعتهم للقاء الرئيس عبد الناصر في القاهرة ، فلما انتهى اللقاء ذهبت بهم سيارات الضيافة المصرية الرسمية إلى السجن الحربي ليقتضوا فترة لا يعرفون نهايتها كمعتقلين بأمر الرئيس .

أصبح الأستاذ نعمان رئيسا لمجلس الشورى ١٩٦٤ و رئيسا للوزراء في أبريل ١٩٦٥ خلفا لمحسن العمري . ، أما الذي خلفه في رئاسة الوزراء فهو المشير عبد الله السلال نفسه حين جمع المنصبيين معا في ٦ يوليو ١٩٦٥ .

فيما بعد السلال

وفيما بعد خروج المشير السلال من الحكم وتولّى القاضي عبد الرحمن الأرياني رئاسة الجمهورية عُهد إلي الأستاذ أحمد محمد نعمان برئاسة الوزراء مرة أخرى فتولاها حتى ٢٤ أغسطس ١٩٧١ .

تولى الأستاذ نعمان مسئولية مندوب اليمن الدائم لدى الجامعة العربية ١٩٦٤ - ١٩٦٧ ، كما كان عضوا في المجلس الجمهوري (١٩٦٥ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧٣) ومستشارا للمجلس الجمهوري ١٩٧٢ - ١٩٧٣ وعضوا في المكتب السياسي للاتحاد اليمني ١٩٧٣ - ١٩٧٤ .

قصيدته عن سجون الرئيس عبد الناصر

أما قصيدة الأستاذ أحمد محمد نعمان التي وصف بها حاله وحال أقرانه مع سجون عبد الناصر، فقد بلغت الذروة في التعبير الدقيق عن حالة إنسانية مزرية وجد الزعماء فيها أنفسهم وهم مقيدو الحرية على نحو لا علاقة له بالأمن ولا بالمنطق ولا بالسياسة ولا بالإنسانية، فالسجين على حد تعبيره يُرمى في حجرة (زنزانة) مزرية تمنع عنه كل شيء لأنها منيعة بل أمنع من العقاب، الباب مغلق، ويُراقبه من

الخلف مُراقب رابض لا يتحرك من خلف الباب لكنه يلهو ويعبث على حين أن السجين في زنزانتة كالقرود أو كالطفل الرضيع.

قسوة السجان وجبنه

وهذا السجان ندل لا يسمع رجاء السجين وإنما يتجاهل كل رجاء وكأنه أصم، فإذا أراد السجان تنبيهه بالقرع على الباب ثار عليهم وأخذ يوبخهم، وباب الزنزانة لا يُفتح إلا لإلقاء الطعام لهم كأنهم القردة حين يُلقى إليها الطعام، أو للاستدعاء إلى المحقق الذي يتوعددهم ويزيد في توعددهم كأنه يرتوي بهذا الوعيد ويشبع به. وحين يُخرجُ السجان السجين من غرفته يُمسكه من أذنه ويجرّه بإحدى يديه ، بينما يصفعه باليد الأخرى.

وحين يأتي وقت الذهاب إلى المرحاض يجرّه السجان على هذا النحو جريا إلى المرحاض دون أن ينطق أو يرى أو يسمع، ويُلقى بسجينه في المرحاض ليقضي حاجته بينما السجان يتسمع عليه فليس للسجين حق في أن يأخذ نفسه ، فقد حضر الرئيس (عبد الناصر) الأنين والبكاء والشكوى والتوجع والقراءة والكتابة وهكذا أصبح السجين ممنوعا من كل هذا ولم يُسمح له إلا بالبقاء في الظلمات يُعاني لو عتها.

السجن مدرسة للإيمان

ومع هذا فإن المسجونين يُصلّون ويركعون ويدعون الله، ويقرأون القرآن لا من المصاحف وإنما من الأذهان مُحاولين تذكر النص القرآني بكل وسائل التذكر ، وهم يُحاولون أن يتذكروا شيئا من الشعر والنثر الذي بقي في ذاكرتهم وأصبح يظهر على هيئة شوارد يُرددها اللسان ، ويشدو بها، لكن شاعرنا مع كل هذا يُدرك أن النفس تستطيع أن تحتفظ بألق النور ساطعا كنور الشمس ، فخفايا النفس التي في أعماقها تظهر في مثل تلك اللحظات لثعبّر عن رصيدها من الإيمان واليقين والثراء النفسي والقدرة على التحمل والتوافق مع هذه المحنة.

على هذا النحو عبّر النعمان بقصيدته التلقائية التي ألفها من وحي لحظة تجلّت فيها الإشكالية الكبرى حين كان يطلب الحرية لشعبه فإذا بحرّيته هو نفسه تُسلب ، لا على يد العدو ، وإنما على يد الحليف الذي ينتظر نُصرته أو الذي دفعه إلى الأمام في سبيل نيل هذه الحرية بالثورة والحرب والجهاد من أجل الحرية.

كان النعمان يتأمل في السبب الذي يجعله وهو الزعيم والوزير (بل رئيس الوزراء في قادم الأيام) يتألم ويأسى لمدى ما أصاب قيادة الثورة المتمثلة في الرئيس جمال عبد الناصر من تصلّب في الرأي والفكر جعلها تلجأ إلى خداع أنصارها

فتستقبل قادتهم في قصر الرئيس نفسه ثم يخرجون من مقابلة الرئيس إلى السجن مباشرة لأن الرئيس رأى أنه لا بد له من إبعادهم عن ساحة الثورة إلى حين. وهكذا بلور النعمان القضية في قوله الساخر المشهور: كنا في عهد الإمام نُجاهد من أجل حرية القول (أي حرية التعبير بلغة العصر) فأصبحنا في ظل الرئيس عبد الناصر نُطالب بحرية البول!

من الحق أن نقول إن هذه القصيدة المُفعمة بالأسى والسُخرية معا تُعبّر عن حالة سوداوية فريدة تستمد فرادتها من رعونة النظام الناصري في معاملة حُلفائه وأصدقائه بل وفي إفادة أعدائه و تمكينه لهم من نفسه هو ومن نفس حُلفائه.

وهذه هي قصيدة الأستاذ أحمد محمد النعمان :

أمنيته أصبحت هي شكواه

ماكنت أشكو منه أصبح غاية / نسعى لها سعياً وفيها نطمع
يرمى السجنين لوحده في غرفة/ هي من عقاب الجو حقاً أُمْنَع
الباب يغلق دونه ومراقبٌ/ من خلف هذا الباب لايتزعزع
يلهو ويعبث والسجين كأنه / قرد يقهقه أو صغير يرضع

نذالة السجنان

يتصامم النذل اللعين نداءنا/ وإذا قرعنا الباب هاج ينقرع
لايفتحن الباب إلا عندما/ يرمي الطعام لقرده ويودع
أو حين يدعوه المحقق فجأة/ يرويه من ماء الوعيد ويشبع
أو حين يخرج به ويمسك أذنه/ ويجره بيدٍ وأخرى تصفع
يجري به جرياً إلى مرحاضه /لاينطقن ولا يرى أو يسمع
يلقيه في المرحاض يفرغ مابه /ويظل ينصت للسعال ويقرع

الرئيس حظر الصوت والأنين والتنفس

نفسُ السجنين كصوته وأنينه/ الكل يحظره الرئيس ويمنع
حظروا عليه أنينه وبكائه/ لايشتكى شيئاً ولايتوجع
حظروا عليه قراءة وكتابة/ ليظل في ظلماته يتلوع
أما الصلاة مع الدعاء فإننا/ ندعو الإله على الدوام ونركع

قراءة القرآن من الذاكرة

وقراءة القرآن من أذهاننا/ نجترها ونلمها ونرقع
وشوارد نظماً ونثراً في الحجى/ ماتت وأشتات نيام هجع

ثارت من الأعماق دون إثارة/ ولساننا يشدو بها ويرجع
فالنفس حيث صفت تألق نورها/ فكأنها الشمس المنيرة تسطع
وإذا الخفايا في عميق بحارها/ متصاعدات سابحات شرع
جادت بما خزنت وفاض معينها/ فبحارها أغنى البحار وأوسع

مذكراته

صدرت مذكرات أحمد محمد نعمان عن المعهد الفرنسي للآثار والعلوم
الاجتماعية بصنعاء ومركز الدراسات العربية والشرق أوسطية ببيروت ٢٠٠٣
(على صيغة حوار أجراه باحثون بالجامعة الأميركية ببيروت عام ١٩٦٩، صدر
بعد رحيله بسبع سنين وتولى مراجعته وتحريره علي محمد زيد)

ترك الأستاذ نعمان آثارا فكرية مهمة

- الأنة الأولى ١٩٣٧.
 - اليمن الخضراء ١٩٣٩.
 - فقيد اليمن أحمد بن عبد الملك ١٩٥٢.
 - مآل القضية اليمنية ١٩٥٥.
 - أهداف الأحرار ١٩٥٦.
 - مطالب الشعب ١٩٥٦.
 - كيف نفهم قضية اليمن ١٩٥٧.
 - انهيار الرجعية في اليمن ١٩٥٧.
 - إلى المناضلين في اليمن ١٩٥٨.
 - فلنثبت وجودنا أولاً ١٩٥٨.
 - إلى أبناء اليمن في الوطن والمهجر ١٩٦٠.
 - كلية بلقيس قلعة تقدمية ١٩٦٠.
 - بلقيس منار المستقبل ١٩٦٢.
 - لهذا استقلنا ١٩٦٤.
 - أين العهود والمواثيق وأين ذهبت لجان التحقيق؟ ١٩٦٥.
 - لنعتمد على أنفسنا ١٩٧١.
- وله أيضا:
- مجموعة خطب إذاعية مسجلة.

- مقالات وأحاديث وتصريحات عن الشأن اليمني والأحداث العربية المهمة منشورة في عدد من الصحف والمجلات اليمنية والدولية (الثورة، الوحدة، النهار، الصياد، الأهرام، أكتوبر، الحوادث، الشرق الأوسط، المدينة المنورة وغيرها).

ما كتب عنه

- الأستاذ : كتاب الأربعين بعد وفاته ، صدر في طبعتين في صنعاء وبيروت.
- نعمان الصانع الأول لقضية الأحرار : للقاضي محمد محمود الزبيري .
- ثمانون عاماً من حياة النعمان : للأستاذ عبد الرحمن طيب بعكر.

أبناؤه

أصبح ابنه محمد نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للخارجية واغتيل في بيروت في ٢٨ يونيو ١٩٧٤ كما اختير ابنه الثاني عبد الرحمن نائباً في البرلمان اليمني (توفي في مارس ٢٠٠٤). كما عمل ابنه الرابع عبد الوهاب طياراً وثلاثة آخرون من أبنائه فؤاد و عبد الله و مصطفى عملوا بالسلك الدبلوماسي وله ابنتان : هناء و فوزية (وكيلة وزارة التربية والتعليم ، توفيت ٢٠١٠).

حياته الطويلة في التقاعد ووفاته

قُدِّرَ للأستاذ النعمان أن يعيش حتى ٢٧ سبتمبر ١٩٩٦ حيث توفي في جنيف.

الفصل الثامن : قحطان الشعبي

الزعيم اليمني الذي ضيعه المصريون وضيعوا اليمن معه

قحطان الشعبي (١٩٢٣ - ١٩٨١) زعيم عربي حقيقي استطاع أن يُنجز ما عجز عنه مُعظم القادة العسكريين العرب في القرن العشرين، وهو ببساطة شديدة الذي جمع اليمن الجنوبي (أو ما يُعرف الجنوب العربي) كله في دولة مدنية واحدة بقوة المنطق السليم والعمل السياسي المُخلص بعيدا عن المؤامرات التي يُؤمر العسكريون المحليون بصُنْعها فيصنعونها ويوجدون بها حالة من حالات التوتر الدائم تحت شعار كاذب هو شعار الاستقرار أما قحطان الشعبي فبقوة الإيمان وحده استطاع أن يصل إلى كيان عظيم وإلى مُجتمع عظيم وأن يستمر في قيادته عامين متواصلين قبل أن يُحقق بعض المراهقين من العسكريين واليساريين لأعداء العروبة ما حققوه من إدخال الدولة الوليدة في دوامات الصراع الدولي في المنطقة.

عاش قحطان الشعبي حياة طبيعية حتى مع قسوتها ونشأ نشأة سوية حتى مع صعوبة اليُتم والبُعد عن الحياة الحاضرة لكنه بذكاء البدوي الفطري وباجتهاد الإنسان الطموح وبتربية عربية أصيلة استطاع أن يرتقى في مدارج الوعي والسياسة حتى استطاع أن يبني أساسا متميزا لدولة جديدة في ١٩٦٧ ولولا أن هذه الدولة تمتعت بما حباها الله به من موقع فريد وخصائص بشرية وجغرافية متميزة ما وقعت أسيرة لما وقعت فيه من مطامع الماركسيين والغربيين على حد سواء فضلا عن تأمر العرب المُحيطين بها والبعيدين عنها كذلك ورجباتهم المتكررة والمتجددة في السيطرة دون قدرة، والانتفاع دون حق ، والإفساد دون مبرر.

لولا توقف النزق الناصري بعد ١٩٦٧

وإذا جاز القول بأن هزيمة ١٩٦٧ كانت لها بعض الآثار (غير المقصودة لا من الحرب ولا من الهزيمة) المقللة من آثار النزق ، فإن أول هذه الآثار أن الرئيس عبد الناصر حرص على أن يعتذر لقحطان الشعبي عن سياسات الإفساد والانحراف التي مارسها الأجهزة السيادية المصرية مع مجتمع الجنوب العربي، وهي سياسات مراهقة وخرقاء، لكنها كانت في نظر القائمين بها ضرورة لا بد منها لإضفاء روح الأهمية على النظام الناصري وللمباهاة بقُدْرَتهم على السيطرة على تنظيمات عربية يصنعونها بأنفسهم وعلى أعينهم ، ظنا منهم أنهم بصُنْع هذه التنظيمات وتمويلها

يضمنون ولاء المنتسبين إليها ويضمنون أن يكونوا بُدلاء أسهل من زعيم شعبي حقيقي مثل قحطان الشعبي.

تعسف النظام الناصري بتقييد حرية قحطان الشعبي

وقد وصل تعسف المصريين مع قحطان الشعبي وأمثاله من زعماء الجنوب أن قيدوا حريتهم في القاهرة وفي غير القاهرة وهددوا حياتهم في بلادهم وخارج بلادهم لِيُعطوا الفرصة للأنظمة (أو التنظيمات) التي كانوا يعتقدون أنها ستظل موالية لهم من قبيل ما يوصف في علم السياسة بالعمالة.. وقد مضت مصر في هذا الخط باستعلاء و تصميم حتى وقعت هزيمة ١٩٦٧ وأدركت مصر مدى العبث الذي سيكلفها الكثير لو ظلت مستمرة فيه، وهكذا استقبل عبد الناصر هذا الزعيم الحقيقي قحطان الشعبي واعتذر له أو طيَّب خاطره مُعتذرا عما أصابته به مصر من المضايقات، ومُحررا له من سيطرة وتهديد المخابرات المصرية وناسبا الخطأ في كل ما جرى إلى قيادات المخابرات العامة التي كان عبد الناصر يُبعدها في ذات الوقت من مناصبها إلى السجن.

وهكذا تمكن قحطان الشعبي أن يستعيد زمام الأمور في وطنه بعد أن رفعت مصر يدها المناوئة للزعامة الشعبية (التي تحمل اسم الجبهة الشعبية) مستعينة بزعامة مصنوعة سُميت بالجبهة القومية.

قاد خطوات بلاده نحو إعلان الاستقلال

استطاع قحطان الشعبي الذي كان هو نفسه رجلا من كبار رجال الجهاز التنفيذي العامل في الجنوب العربي من خلال مناصب متقدمة لا تقل في نفوذها الحقيقي عن مناصب الوزراء أن يقود خطوات بلاده نحو إعلان الاستقلال وإعلان الدولة الجديدة التي حرصت على أن يتضمن اسمها أنها عربية، وأنها تضم الجنوب العربي كله وليس عدن كما كان الفرقاء الآخرون يريدون متوافقين مع ما عُرف بعد هذا من الاتجاه السوفييتي إلى السيطرة على هذا المدخل المهم في الاستراتيجية الدولية.

أعلن استقلال الدولة التي أصبح هو نفسه رئيسها

تُوِّجت قصة كفاح قحطان الشعبي بالنجاح التام حين أعلن استقلاله ويزوغ الدولة التي أصبح هو نفسه رئيسها، وحين بدأت هذه الدولة ممارسة سيادتها بسهولة وسلاسة ووطنية كان من الممكن أن تستمر حتى الآن لكن المراهقة الماركسية والمطامع الخارجية (العربية قبل العالمية) كانت لهذا الكيان العظيم بالمرصاد،

فاستطاعت أن تُنتهي هذه التجربة الرائعة في حكم الجنوب العربي وأن تبدأ سلسلة متجددة من القلاقل التقليدية التي لم تنته حتى يومنا هذا.

أما قحطان الشعبي الزعيم الحر الأبى فقد كان مصيره أصعب مصير واجه رئيس عربي حتى ذلك الوقت فلم يكتف الماركسيون بالانقلاب عليه وإبعاده عن الحياة العامة ، بل إنهم اعتقلوه وجعلوا اعتقاله في زنزانة فردية ساموه فيها العذاب لا لشيء إلا لأنه زعيم ولأنه وطني ولأنه نزيه وأمين وغير عميل.

وربما أن الجماهير لم تعرف هذه الحقائق إلا بعد أن مر نصف قرن مر على مجد قحطان الشعبي وإنجازه العظيم الذي بدده العرب والمراهقون والمُفتقدون للتجربة السياسية على وجه العموم.

نشأته العربية الأصيلة

ولد قحطان الشعبي محمد الشعبي عام ١٩٢٣ في لحج في وادي شعب وهو أحد أودية مدينة طور الباحة التي هي عاصمة إقليم الصبيحة، وقد توفي والده قبل ولادته بثلاثة شهور، وقد كفله شيخ وادي شعب وهو الشيخ عبد اللطيف عبد القوي، وعاش قحطان الشعبي حياة بدوية كاملة بدأت برعي الأغنام ثم انتقل إلى عدن للدراسة في مدرسة "جبل حديد" وهي مدرسة معروفة بل إنها أشهر المدارس في تاريخ عدن الحديثة وفيها درس أبناء السلاطين والشيوخ ثم نال قحطان الشعبي بعثة دراسية إلى السودان ، فكان أول زعيم عربي يتلقى تعليمه في السودان (وليس في مصر أو بيروت أو العراق).

دراسته في السودان

وفي السودان أتم قحطان الشعبي دراسته الجامعية وحصل على بكالوريوس في الزراعة من جامعة جوردون في الخرطوم ، لكن الأهم من التعليم الجامعي كان هو وعيه السياسي الذي تفتح في بلد يُمارس السياسة ويُعاني مثل وطنه من الاحتلال البريطاني، وقد ثبت أن قحطان الشعبي اشترك مع السودانييين في المظاهرات السياسية السودانية ووزع المنشورات المعادية للبريطانيين، وتعرض للاعتقال والإيذاء البدني.

كفايته في مناصبه العليا

بعد عودته إلى بلاده أصبح بمثابة وزير (مدير) الزراعة في أبين ثم في حضرموت التي كانت تضم سلطنتين ثم عاد إلى سلطنة لحج وفيها أصبح أيضا بمثابة وزير(ناظر) الزراعة.

وصل قحطان الشعبي بكفاءته الوظيفية إلى أرفع درجة من درجات الوظائف الوطنية في ظل هذا الاستعمار البريطاني وأصبح بكفاءته وتفانيه من أكبر ثلاثة موظفين عرب في ظل الاستعمار، وكان هو أصغرهم.

رابطة أبناء الجنوب

اشترك قحطان الشعبي في تأسيس "رابطة أبناء الجنوب" في مطلع الخمسينيات وعلى حين كانت هذه الرابطة تدعو لوحدة الجنوب العربي كله ، فإن الكاتب اليمني المعروف محمد علي لقمان كان يتزعم الدعوة الأقل طموحا إلى قيام دولة صغيرة في عدن وهو ما عبر عنه بكتابه "عدن تطلب الحكم الذاتي" وهو ما وُصف بأنه القومية العدنية.

الهرب عبر تعز إلى القاهرة

بدأ قحطان الشعبي يواجه متاعب السياسة والثورة والوطنية ، فقد قررت السلطات البريطانية اعتقاله في ١٩٥٨ ، لكنه تمكن من الهرب عبر تعز في اليمن ومنها إلى القاهرة.

مع فيصل الشعبي في حركة القوميين العرب

في ذلك الوقت أسس البطل اليمني العظيم فيصل عبد اللطيف الشعبي ١٩٣٥- ١٩٧٠ فرع حركة القوميين العرب وأصبح قحطان الشعبي عضوا سريا بحكم مناصبه.

وفي ١٩٥٩ وضع قحطان الشعبي مع زميل كفاحه فيصل عبد اللطيف الشعبي كتابا بعنوان " اتحاد الإمارات المزيف مؤامرة على الوحدة العربية" وكان هذا الكتاب دعوة صريحة إلى الكفاح المسلح.

وفي ١٩٦٠ استقال الزعيم قحطان الشعبي وزملاؤه من فرع حركة القوميين العرب عن قناعة حين وجدوا هذه الحركة غير قادرة على حمل المسؤولية وبدأوا يستعدون على مهل لإنشاء كيان جديد و هو الجبهة القومية التي تحققت استقلال اليمن الجنوبي على يديها .

كتابه الأشهر عن الاستعمار البريطاني وجنوب اليمن

في مايو ١٩٦٢ أصدر قحطان الشعبي كتابه الأشهر " الاستعمار البريطاني ومعركته العربية في جنوب اليمن" أي قبل ثورة السلال بأربع شهور، وفيه دعوة صريحة إلى أن يتحول اليمن إلى جمهورية تتولى تحرير الجنوب، وهكذا فإن قيام ثورة السلال كان مدعاة لأن ينتقل قحطان الشعبي مباشرة من القاهرة إلى صنعاء

وأن يعين بناء على إلهاح أبناء الجنوب مستشارا للرئيس السلال لشئون الجنوب المحتل ثم رئيسا لما عُرف باسم مكتب الجنوب في صنعاء (مصلحة الجنوب) ومن خلال هذا الموقع مارس كثيرا من السلطات التنفيذية التي خدمت أبناء الجنوب.

أمين عام الجبهة القومية لجنوب اليمن

كان قحطان الشعبي مُتمرسا بالعمل السياسي والتنفيذي معا ، وهكذا رأى ضرورة إعلان قيام جبهة تستهدف تحرير جنوب اليمن ، سُميت بالجبهة القومية وأصبح هو أمينها العام وعلى يديها تحقق استقلال جنوب اليمن بالفعل في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ وظل مُحفظا بهذا المنصب حتى وهو رئيس للدولة الجديدة، ومن خلال منصبه كأمين عام لهذه الجبهة مثل جنوب اليمن في المحيط الدولي المتاح لمثل حركته.

تحرش القيادات المصرية

بيد أن هذه الجبهة لقيت كثيرا من المصاعب على يد المصريين (سواء من كانوا في القيادة المصرية في اليمن أو من كانوا في القاهرة) وبدأت هذه المصاعب عند محاولة الشعبي إعلان ثورة تحرير الجنوب في ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ فإن مصر لم تُذع البيان، وأعربت عن انزعاجها من تحديد موعد للثورة ، بينما كانت تسعى إلى التوافق مع البريطانيين، وبعد مناقشات أذاعت مصر البيان في ٢٦ أكتوبر ١٩٦٣ ، لكن مرحلة طويلة من سوء الظن والتريبص كانت قد تكرست .

هكذا بدأت العلاقة تسوء بين ثوار الجنوب وبين القاهرة ، لكن هذا لم يمنع قحطان الشعبي من قيادة كفاح مسلح استطاع توفير الذخيرة له، كما شن عددا من المعارك الناجحة التي سرّعت من اقتناع البريطانيين بالخروج من اليمن.

مصر تعلن عن قيام جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل

كانت المتاعب التي خلقها المصريون لقحطان الشعبي و زملائه قد وصلت إلى ذروتها في يناير ١٩٦٣ عندما أعلنت مصر عن قيام تنظيم جديد باسم "جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل" وكعادة البيروقراطية المصرية فقد حرصت على أن تضم هذه الجبهة بعض السلاطين والأمراء والمعارضين للكفاح المسلح، كما أعلنت القاهرة أن الجبهة القومية التي يقودها قحطان الشعبي قد انضمت إلى جبهة تحرير الجنوب، لكن قحطان الشعبي نفسه أعلن من القاهرة نفسها عدم شرعية ضم جبهته إلى جبهة التحرير، واعتبر الأمر مؤامرة للقضاء على الجبهة القومية، بعد أن مضت الثورة المسلحة إلى المزيد من الانتصارات.

مصر تحتجز قحطان الشعبي و فيصل عبد اللطيف

كان الرد المصري مُتوقعا وإن لم يكن مشرفا.. ذلك أن السلطات المصرية التي كانت تعتبر نفسها وصية على حركات التحرير احتجزت قحطان الشعبي ومعه رفيق كفاحه فيصل عبد اللطيف في القاهرة، لكن هذا البدوي الذكي (فيصل عبد اللطيف) استطاع تضليل الأجهزة المصرية وفرّ من مصر إلى بيروت ثم إلى الجنوب، وعقد مؤتمره الشهير في نوفمبر ١٩٦٦ .

الرئيس عبد الناصر يستقبله و يعتذر له

هكذا كان فيصل الشعبي قد نال حريته و مارس التعبير عن توجهاته بينما ظل قحطان الشعبي مُحجزا في القاهرة حتى وقعت هزيمة ١٩٦٧ وأعدت مصر ترتيب تحالفاتها العربية، وهكذا استقبل الرئيس عبد الناصر بنفسه قحطان الشعبي واعتذر له وسمح له بمغادرة مصر في أغسطس ١٩٦٧ .

تضاول دور جبهة التحرير الموالية لمصر

كانت هزيمة ١٩٦٧ من جهة أخرى إيذانا بتضاول دور جبهة التحرير الموالية لمصر وبصمود الجبهة القومية وسيطرتها على كل المواقع في الجنوب العربي ووصل الأمر في النهاية وفي غياب وسيط شريف إلى الاقتتال فانحصرت الجبهة القومية (بقيادة قحطان) ولقيت الجبهة الموالية لمصر هزيمة نهائية، وسيطر قحطان الشعبي على الوضع تماما في نوفمبر ١٩٦٧ واضطرت بريطانيا إلى الاعتراف بأن الجبهة القومية التي يقودها قحطان الشعبي هي الحكومة الفعلية القائمة في الجنوب ، وترأس قحطان الشعبي الوفد اليمني الجنوبي إلى مباحثات الاستقلال مع البريطانيين في جنيف فيما بين ٢١ و ٢٨ نوفمبر .

اتفاقية الاستقلال

وفي ٢٩ نوفمبر ١٩٦٧ وقع قحطان الشعبي اتفاقية استقلال جنوب اليمن من الاحتلال البريطاني الذي استمر قرابة ١٣٠ عاما . وفي اليوم التالي ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ والذي اعتبر يوم الاستقلال احتشدت الجماهير لاستقبال بطلها الشعبي العظيم قحطان الشعبي واستمرت الاحتفالات على المستوى الوجداني اللائق بقيام الدولة العظيمة .

الانقلاب الغادر

ظل قحطان الشعبي يُمارس حكم اليمن الجنوبي بإخلاص وهمة واقتدار إلى أن قام الانقلاب الماركسي في أواخر مارس ١٩٧٠ و اغتيل نائبه و شريكه في الكفاح

المناضل العظيم فيصل عبد اللطيف رئيس الوزراء في أبريل ١٩٧٠ في زنزانته بينما بقي قحطان الشعبي في الاعتقال الانفرادي حتى وفاته في ٧ يوليو ١٩٨١ في أواخر عهد الرئيس السادات .

صموده في مواجهة اعتقاله ١١ عاما مع التعذيب

عاش قحطان الشعبي في معتقله ١١ عاما من السجن والتعذيب شاهدا على عصر من القهر والظلم و عداء الشعوب والحياة المدنية.

أسرته

وفي أثناء اعتقاله تزوج ابنه الأكبر في ١٩٧٦ . أما زوجته التي تجمع بين المجد من طرفيه (باعتبارها شقيقة البطل فيصل عبد اللطيف وزوجة قحطان) فقد عاشت بعده طويلا حتى توفيت في ١٩٩٨ .

وفاته

لقي قحطان الشعبي وجه ربه عام ١٩٨١ بعد أن رفض ممارسة أي نوع من القتل للخصوم أو الموافقة على قرارات الإعدام للساسة السابقين.

جنازته

خرجت جماهير شعبه كلها لتشييعه إلى مثواه الأخير ولتشيع معه آمالها في الحرية المبتغاة و الشخصية المنيعه ، والمستقبل الزاهر ، فقد كانت وطأة الماركسية ثقيلة، وكانت وطأة العسكر أثقل من وطأة الماركسية ، وكانت تربصات العرب المحيطين باليمن الجنوبي أشد وطأة من وطأتي الماركسية والعسكر على حد سواء.

الفصل التاسع : سالمين أو على سالم ربيع

أول الانقلابيين اليمينيين الماركسيين

أول زعماء الانقلابات الماركسية

على سالم ربيع المعروف بسالمين ١٩٣٥-١٩٧٨ هو أول زعماء الانقلابات الماركسية في اليمن الجنوبية وهو أول الرؤساء من الشبان الماركسيين الذين انقلبوا على الزعامة الطبيعية للرئيس قحطان الشعبي ١٩٢٣-١٩٨١

تداولوا السلطة السياسية بالدم

كان الرئيس سالم ربيع معروفا تبعا للنسق الماركسي والسوفييتي في العمل السري باسم "سالمين" وهو اسم جميل على عادة الشيوعيين العرب حين يُدعون الأسماء أو المصطلحات أو الاختصارات النحوية من قبيل حدثو وحمتمو وحستو. ومن الطريف أن الرئيس سالم ربيع علي كان هو الآخر مثل المصطلحات المنحوتة التي أشرنا إليها توا (حدثو وحمتمو وحستو) واحدا من الماركسيين اليمنيين الذين تداولوا السلطة السياسية بالدم وليس على طريقة المباريات الرياضية، فلم تكن هناك قواعد للصعود ولا للتصعيد ولا للخروج ولم تكن اللعبة السياسية تخضع لمنطق الكأس ولا الدوري، ولم تكن حتى تخضع لمنطق الكراسي الموسيقية التي يخرج الخاسر منها ولا يتبقى إلا من يحتفظ بالكرسي فقد حدث خروج وعودة، كما حدث قتل واختفاء على نحو تراجمي .

كان الرئيس قحطان الشعبي (١٩٢٣ - ١٩٨١) هو الزعيم اليمني المدني الطبيعي الذي فاوض على الاستقلال وأعلنه وأصبح أول رئيس للدولة الجديدة ١٩٦٩ لكن الأجهزة المصرية كانت لها كلمة أخرى فقد كانت عقليتها الباطشة تظن أن من حقها أن تفرض من تشاء على الشعوب العربية وكان الاتحاد السوفييتي في بدايات ترهله سعيدا بهذا الوضع الذي تأسد فيه الرئاسة للمنضمين والمنظمين في التنظيمات الماركسية المرتبطة به، وكان الشبان في هذه المنظمات الماركسية يجمعون بين الوطنية وقلة الخبرة بما يجعلهم في نهاية الأمر ضحايا للقوى الإمبريالية الكبرى حتى وإن بدا أنهم ضحايا خلافتهم الصغيرة أو ضحايا التدخل المصري (أو أي تدخل عربي أو غربي مشابه أو مضاد).

تعاقب الرؤساء الخمسة

وقد تجلت هذه الصورة في اليمن الجنوبية على وجه أكثر تعبيراً من أي وجه آخر فقد تعاقب على رئاسة اليمن الجنوبي ما بين ١٩٦٩ و ١٩٩٠ أي في ٢١ عاماً خمسة رؤساء بدأوا بالرئيس قحطان الشعبي الزعيم الطبيعي ثم توالى الماركسيون الأربعة الأنداد وهم :

- الرئيس سالم ربيع (١٩٦٩ - ١٩٧٨)
 - الرئيس عبد الفتاح إسماعيل (١٩٧٨ - ١٩٨٠)
 - الرئيس علي ناصر محمد (١٩٨٠ - ١٩٨٦)
 - الرئيس علي سالم البيض (١٩٨٦ - ١٩٩٠)
- ثم حدثت الوحدة اليمنية في ١٩٩٠ على نحو ما نعرف.

من جيل واحد

لا أظنني أفجأ القارئ إذا قلت له إن هؤلاء الرؤساء الأربعة الذين خلفوا قحطان كانوا أندادا أيضاً من حيث السن فقد ولد أولهم عام ١٩٣٥ بينما ولد الثلاثة الباقون في عام واحد هو عام ١٩٣٩ فهل رأيت نموذجاً لمثل هذه الندية في رؤساء دولة؟ وهب أن واحداً من اللذين لا يزالان على قيد الحياة منهم كالرئيس علي ناصر أو الرئيس علي سالم البيض كان هو الذي تولى الحكم في ١٩٦٩ هل كان شأنه سيكون مثل شأن معمر القذافي أو علي عبد الله صالح؟ بدلاً من المعدل العالي للتغيير الذي جعل مدد رؤساء اليمن الجنوبية الخمسة تتوالى على النحو التالي (تسع سنوات - سنتان - ست سنوات - أربع سنوات) .

بالطبع فإن الإجابة معروفة ، وهي أنه كان من المستحيل على هذا الجيل الذي هو أكثر أجيال الأمة العربية تأثراً وتمزقاً بالشعارات الرنانة أن يتقبل أي تراتبية (هراركية) أو تعاقب منتظم.

الحرص الماركسي على كتابة التاريخ

نعرف بالطبع أن الماركسيين يتميّزون عن الفصائل السياسية الأخرى بالحرص على كتابة التاريخ وهم يتبعون في كتابته مذهباً يتمشى مع تفسيرهم المادي للتاريخ أي أنهم يكتبون التاريخ ليتماشى مع التاريخ الذي يدرسونه على نحو ما يريدون فهمه.

ونعرف بالطبع أن الباحثين الغربيين وكتاب التاريخ لا يُمانعون في أن ينقلوا ما كتبه الماركسيون على نحو ما كتبوه مكتفين بتأطير الأمور من خارجها دون حاجة

إلى فحص الروايات التي يكفي أن يُشار إلى هوامشها لِيَتَحَمَّل أصحابها المسؤولية عنها أو وزرها إذا كان هناك وزر يرميهم به من يُصاب بالضجر من حقيقة مغلوطة أو رواية موجهة.

وعلى كل حال فإن الصراع الداخلي بين الفصائل الماركسية لا يهم الغربيين إلا بمقدار توظيفهم الناجح له، فإذا فشل التوظيف فإنهم لا يُعنون بذكره ولا بالمسؤولية عنه ولا بالأسف عليه وبهذا الفهم يمكن لنا أن نفهم كل ما يتعلق بالتاريخ المعاصر لليمن و اليمن الجنوبية في المصادر الأمريكية و الأوروبية.

إعدامه بعد أربعة أيام من الانقلاب عليه

وعلى كل الأحوال ففي حياة الرئيس سالم ربيع علي كثير من المحطات الإنسانية بالغة التعبير عن أزمة المجتمع العربي مع السياسة ويكفي أنه تم إعدامه بعد أربعة أيام من الانقلاب عليه في ٢٢ يونيو ١٩٧٨ .

بداياته في جبهة التحرير

أما بدايات سالمين السياسية فكانت في جبهة التحرير الوطني التي يُزعم أن أجهزة مصر أو مخابراتها هي التي أنشأتها ، لا من العدم ولكن من الشباب اليمني المتحمس ، الذي كان في بداية العشرينات ، حين قامت الثورة في اليمن في سبتمبر ١٩٦٢ ودخلت القوات المصرية اليمن، وكما قلنا فإن الرؤساء الثلاثة الذين خلفوا الرئيس سالم ربيع علي كانوا من مواليد ١٩٣٩ أما هو فكان أكبر منهم بأربع سنوات إذ ولد في ١٩٣٥ (وهكذا كان هؤلاء الرؤساء في الثالثة والعشرين حين قامت ثورة اليمن وكان هو في السابعة والعشرين) .

توجه الجبهة الى العمل السري

بعد أن أعلن الاستقلال وأصبح الرئيس قحطان الشعبي رئيساً رأت جبهة التحرير أن تعمل في الخفاء من أجل الاستيلاء على الحكم لنفسها مقتدية ومهتدية بتجارب الرئيس جمال عبد الناصر والانقلابيين العرب.

قيادته للجناح اليساري

وكان الرئيس سالم ربيع علي قد أصبح قائدا للجناح اليساري من جبهة التحرير أي أصبح قائد يسار اليسار، وهكذا تسلّم السلطة، وبدأت بعد تسلّمه المناوشات الفكرية الداعية إلى إنشاء تنظيم حاكم على غرار تجربة الاتحاد الاشتراكي التي كانت لا تزال عاملة في مصر حتى مع الرئيس السادات الذي لم يُفِرط فيها إلا في ١٩٧٦ .

ظاهرة التشطي الماركسي

وفي المقابل فقد كان الرئيس عبد الفتاح إسماعيل (الذي خلف الرئيس سالم ربيع فيما بعد ١٩٧٨) يتبنى فكرة الحزب الاشتراكي اليمني ولم يكن الرئيس سالم ربيع علي مُحببًا لها. وهكذا أصبح هناك يسار جديد إلى يسار اليسار في دولة يسارية.. وكان هذا بالضبط هو نموذج التشطي الذي عرفت الماركسيات العربية.

■ فجبهة التحرير [أولا] كانت إلى اليسار من الجبهة الوطنية التي أبعدها عن الحكم بانقلاب ١٩٦٩

- في داخل الجبهة الوطنية [ثانيا] كان سالمين هو قائد الجناح اليساري.
- وهذا هو الرئيس عبد الفتاح إسماعيل [ثالثا] المُصنّف عربيا على أنه ماركسي فُح رغم بداياته في الجبهة الوطنية مع فيصل الشعبي وقحطان الشعبي ينقلب في ١٩٧٨ على سالمين ويُعدم سالمين.

رؤساء الوزراء الذين عملوا معه

أما رئاسة الوزراء في عهد الرئيس سالم ربيع فبدأت بمحمد علي هيثم لمدة عامين ثم آلت إلى الرئيس علي ناصر الذي هو الرئيس الرابع الذي خلف الرئيس عبد الفتاح إسماعيل في ١٩٨٠ وكنا قد ذكرنا أن الرئيس علي ناصر واحد من الرؤساء الثلاثة المولودين في ١٩٣٩ ، أما محمد علي هيثم فقد ولد في العام التالي ١٩٤٠.

ماذا تم في اليمن الجنوبي في عهد سالمين؟

يمكن لقراء التاريخ ان يجدوا دلالات متعددة على توجهات محددة حكمت سياسات الرئيس علي سالم لربيع في الفترة التي تولى المسؤولية فيها:

- تغيير اسم الدولة من جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية إلى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.. ومن المعروف أن النص على الديمقراطية في اسم الدولة لا يحدث إلا عندما تنحو الدولة إلى الشمولية الكاملة والحزب الواحد وحكم الفرد.
- مزيد من المركسة بكل المراهقات المعروفة فيما يسمى الثورة الثقافية التي لم يكن لها من مهمة إلا أن تتحدى مشاعر مجتمع متدين وأصيل في حضارته وأن تحاول توهين الإسلام في نفوس أبنائه.

- مزيد من اضطرابات الفكر فيما بين طائفة من كوادر السياسة المؤهلين
ماركسيا فحسب من دون أن يكونوا أصحاب مهنة أو خبرة بالحياة
المنظمة والحضارة .

كيف تم الانقضاض عليه

كان الرئيس سالم ربيع قوي الشخصية قادرا على التواصل وهكذا لجأ منافسوه أو أعداؤه إلى الحيل السوفييتية للانقضاض عليه وإقالتة وإعدامه، وقد اتخذوا نقطة صفر لهذا الانقلاب كانت في غاية الإثارة، وهي اغتيال الرئيس اليمني (الشمالي) أحمد حسن الغشمي، وما إن أذاعت إذاعة صنعاء خبر اغتيال رئيسها إلا رفعت القوات اليمنية الجنوبية درجة استعدادها لأقصى درجة، مستجيبة لما صدر عن الجامعة العربية من اتهام للرئيس سالمين وسلطته بالمسؤولية عن مصرع رئيس اليمن .

دور عبد الفتاح إسماعيل في الانقلاب

وفي اليوم التالي اجتمعت اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني برئاسة رجلها القوي الرئيس عبد الفتاح إسماعيل الأمين العام للجنة وقررت ،على عادة النظم (الديموقراطية) المرتبطة بالسوفييت ، تحميل الرئيس سالمين المسؤولية عن اغتيال رئيس الدولة الشقيقة ، ومن ثم راوغت الرئيس فدعت إلى اجتماع المكتب السياسي فذهب سالمين ولم يجد أحداً فقد أجلوا موعد الاجتماع دون إخطاره وكأنهم يوحون له بالقرار الذي اتخذوه ثم أرسلوا إليه ثلاثة من الوزراء هم وزير الدفاع علي عنتر ووزير الداخلية صالح مصلح ووزير الخارجية محمد صالح مصلح فحاوروه ما بين العاشرة مساءً والحادية والنصف صباحاً وحاول حرس الرئيس أن يُشجعه على أخذ الوزراء كرهائن لكن الرئيس قال إنه أعطاهم استقالته وطلب السفر إلى الصين .

استيلاء الجوانب المسرحية و الاستعراضية في الانقلاب

ومع هذا فقد كان لابد لمظاهر الانقلابات العسكرية أن تفرض حضورها السينمائي ففي الثانية بعد منتصف الليل أطلقت النيران وقُطع التيار الكهربائي وأطلقت قذائف المدفعية ومن باب الخداع نودي على الجنود (الذين جمعوا للمشاركة في الانقلاب من دون أن يعرفوا حقيقته كما هي العادة) أن يهجموا على الحرس الجمهوري على أنهم غُزاة قدموا للهجوم على الرئيس الشرعي بإنزال جوي. وبدأ القصف الجوي و القصف من الزوارق البحرية .

واستمرت المعركة حتى ظهر اليوم التالي فتغيرت قيادة المهاجمين واستأنفوا القصف وتفجير الخزائن و كما استمر تنفيذ كل ما هو منقول عن الأفلام الأمريكية المسماة بأفلام الرعب.. وهكذا كانت معظم الانقلابات العسكرية في ذلك الوقت تتم من عسكر على عسكر .

الرئيس سالمين يستسلم

وقد قُتل عبد الله الصبيحي قائد الحرس وسبعة جنود في هذه المعركة ، وواصل الحرس الجمهوري المقاومة لكن الرئيس قرر الاستسلام ونزل بنفسه عبر نفق المجاري للقوات المهاجمة وسمح لهم بتفتيشه وأخذوا معه بعض ضباطه كان منهم محمد سعيد عبد الله المرقشي الملقب بالحزب الذي روى التفاصيل ونقلتها عنه مجلة عدن الغد (٢٦ يونيو ٢٠١٤) تحت عنوان "قصة مقتل سالمين: اللحظات الأخيرة".

الإعدام بدون محاكمة

وبالإضافة إلى هذا الراوي الذي نجا ، فقد كان هناك أربعة ضباط أعدموا مع الرئيس سالمين مباشرة بدون محاكمة ولا مقابلة علي عنتر كما طلب الرئيس . ويروي المرقشي إن الذي نفذ حكم الإعدام في الرئيس كان هو عضو المكتب السياسي (ع ش ه) الذي كان على خلاف مع الرئيس سالمين منذ زمن.

رواية المرقشي عن اعدام سالمين

ويؤكد المرقشي أن كل أعضاء المكتب السياسي لم يحضروا محاكمة ولم يعقدوا محاكمة وأنهم لم يقابلوا الرئيس سالمين ولا جرؤوا على هذا وإنما بقوا في منزل الرئيس علي ناصر محمد حتى صباح ٢٧ يونيو ١٩٧٨ .

روى المرقشي عن واحد من الضباط الذين حضروا إعدام سالمين أن ع ش ه عندما صوّب بندقيته الكلاشينكوف إلى صدر سالمين قال له قبل أن يضغط على الزناد: عشر سنوات يا ربيع تأكلها بارد واليوم ستأكلها حامي فرد عليه الرئيس بشجاعة نادرة قائلاً: اليوم صدورنا وغدا صدوركم فقد فتحتم بابا يصعب عليكم إغلاقه ، ويُشير الراوي أن هذا القاتل قُتل في ١٣ يناير ١٩٨٦ .

علاقة الانقلاب باغتيال رئيسي اليمن الحمدي و الغشمي

نأتي إلى ما هو شائع في الفلكلور السياسي العربي : فمن الشائع أن رئيس اليمن الثالث وهو الرئيس إبراهيم الحمدي الذي حكم اليمن الشمالي بانقلاب أبيض (على القاضي الأرياني) منذ يونيو ١٩٧٤ وحتى أكتوبر ١٩٧٧ قد اغتيل بسبب توجهه

نحو اليمن الجنوبي والوحدة معه والاتجاه للاشتراكية بينما كان التصميم الغربي قد وصّف اليمن الشمالي و صنفها كعازل ضد الاشتراكية .

فلما جاء الرئيس الحمدي بهذا التوجه تم اغتياله بانقلاب ، وقد خلفه قائد الانقلاب الذي هو أحمد حسن الغشمي (١٩٣٨ - ١٩٧٨) الذي كان لا بد أن يُغتال ثأرا للحمدي ، وهو ما حدث بالفعل في يونيو ١٩٧٨ أي بعد تسعة أشهر من تسلّمه السلطة بالانقلاب على الحمدي، وقد وصف الغشمي بأنه سعودي الهوى غربي التوجه . ومن ثم كان لابد من قتل الغشمي، وهو ما تم بالفعل بحرفية عالية جعلت أصابع الاتهام تتجه في الوقت ذاته إلى اليمن الجنوبية ورئيسها الرئيس سالم ربيع علي وكأنه هو الذي قتل الغشمي الذي كان قد قتل صديقه الحمدي .
بيد أن المفاجأة الاستراتيجية أن الذين قتلوا الرئيس سالم ربيع علي لم يكونوا من مذهب الغشمي سعوديين ولا غربيين لكنهم كانوا ماركسيين مثله .

بقيت له سمعته الطيبة

وعلى الرغم من أن الرئيس سالم ربيع علي كان انقلابيا ، وكان يساريا مؤذيا للهوية والقيم الاجتماعية فإنه يحظى بسمعة طيبة فيما يتعلق بتصرفاته المالية، فقد كان حريصا على النزاهة في زمن كان بعض قادته لا يزال حريصا على النزاهة.

الانفتاح الغربي

يروى أيضا أن الرئيس سالم ربيع علي كان قد بدأ انفتاحا سياسيا على الطريقة الغربية وأنه كان التقى بعضو الكونجرس الأمريكي الشهير بول فندلي فكان هذا من أسباب غضب إسرائيل عليه، وهو غضب سرعان ما يظهر أثره.

تلخيصنا للأمر على أنه من المراهقة الفكرية

هكذا نرى مدى المراهقة الفكرية التي طوّرها الغرب في خدمة أهدافه مع موقف غير مفهوم من الاتحاد السوفييتي الذي كانت قيادته في ذلك الوقت تعاني من شبه غيبوبة أو من الترهل على أقل تقدير.

على أننا نستطيع مع كل هذا أن نكتشف بوضوح أن السياستين السعودية والمصرية كانتا لا تزالان تعانيان من الفشل ومن الغياب ومن التخبط وكانتا في بعض الأحيان تجمعان هذه العناصر الثلاثة الفشل والغياب والتخبط بما يسهّل اتهام أيهما بالمسئولية عن أي فعل غير أخلاقي حتى لو لم تكن أيهما قد شاركت فيه.

الباب الثالث المستشارون العرب والبريطانيون

الفصل العاشر : الشيخ حافظ وهبة

السياسي المصري الكويتي السعودي

الاعتماد المبكر للسعوديين على الخبرات العابرة للوطنية

كان تأسيس المملكة العربية السعودية نموذجاً بارزاً لتأسيس دولة تعتمد على الخبرات العابرة للوطنية ، فلم يقتصر الفريق العامل مع الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود على مواليد جزيرة العرب وإنما انفتح المجال واسعا أمام المشاركات من دول إسلامية عديدة، وعلى الرغم مما هو معروف الآن في كتابة التاريخ السعودي عن الانحياز غير المبرر المُبالغ لفكرة السَّعودِة ونفي الفضل عن غير السعوديين ، فإن الفترة الأولى من عُمر المملكة التي تأسست ١٩٣٢ والفترة التي سبقتها ، منذ بدأ نفوذ الملك عبد العزيز آل سعود يتَّسع ، شهدت اعترافاً بل اعتزازاً علنياً وواضحاً وفخوراً بكثير من الرجال العرب الذين ظهروا على المسرح مع الملك عبد العزيز آل سعود بلا أية حساسية أو تأقّفٍ على النحو الذي أصبح سمةً بارزة في العصر الحاضر الذي نعيشه.

تبقى للتاريخ كلمته في قيمة كل رجل من هؤلاء الرجال وإسهاماته في تأسيس المملكة و في ممارساتها لوجودها وحضورها في الإقليم والعالم، مع احترام ما للسعوديين من حق أو مبرر لطريقتهم في تسجيل هذا التاريخ على نحو يحتكر العبقريّة والمبادرة والفهم للملك المؤسس ، ولا يترك لهؤلاء المُستشارين أو المُعاونين أو المُساعدين إلا هوامش ضئيلة من التفوق العقلي والمعرفي، على الرغم من أنهم كانوا عابرة بالفعل.

الأعلام الذين زاملهم الشيخ حافظ وهبة

نتحدث عن الشيخ حافظ وهبة بما تُفضّلُ المصادر السعودية الحديث عنه، ونبدأ بأن نُذكر أُنذاده المصريين الذين وصلوا من المكانة العلمية إلى ما لم يصل إليه ، مع أنه ابتداءً الدراسة في السلك الذي درسوا فيه، وهو مدرسة القضاء الشرعي وهي لمن يعلم مدرسة عُليا أسَّسها سعد زغلول باشا في الفترة التي كان له نفوذ ه في وزارة المعارف، وانتهج في تنشئتها نهجا قريبا من نهج علي مبارك باشا في إنشاء دار العلوم..

وببساطة شديدة فقد كانت الفكرة في هاتين المدرستين رغم اختلاف عصر نشأتها ومجال عملها ، هي أن تكون المدرسة بمثابة جامعة صغيرة وليست بمثابة مدرسة عليا ، أي أن تتوافر فيها دراسات عابرة للمهنة المُحدّدة ، بحيث يُصبح الخريج من هذه المدرسة أو تلك صالحا كالخريج الجامعي و الأزهرى للعمل في أكثر من ميدان.. ببساطة شديدة فإن القضاء الشرعي ودار العلوم كانتا تُعدّان خريجا جامعيًا وليس خريجا مهنيًا مثل مدرسة المعلمين العليا أو مدرسة الطب أو مدرسة الهندسة.. كانت هاتان المدرستان قريبتين تمامًا من الأزهر مع الإفادة من المنهج الفرنسي في الدراسات العرضية المتوازية، وهو منهج كان يحظى ببريق عقلي في ذلك العصر.

درس في مدرسة القضاء الشرعي

كان الشيخ حافظ وهبة من هؤلاء الذين درسوا في مدرسة القضاء الشرعي التي خرّجت في ذلك الجيل رجالا من طراز أحمد أمين القاضي الشرعي الذي أصبح أيضا أستاذا للأدب العربي وعميدا لكلية الآداب وعضوا في مجمع اللغة العربية و رئيسا لتحرير مجلة الثقافة وخرّجت أيضا عبد الوهاب عزّام الذي أصبح أيضا أستاذا وعميدا لكلية الأدب وعضوا في مجمع اللغة العربية ومديرا مؤسسًا لجامعة الرياض. إلى هذا الجيل ينتمي الشيخ حافظ وهبة الذي ولد في عام ١٨٨٩ وهو العام الذي ولد فيه الأساتذة العقاد وطه حسين و عبد الرحمن الراجحي كما ولد فيه الباشوات احمد حسنين و مكرم عبيد و إبراهيم الدسوقي اباطة .

الاحتلال الانجليزي يضطره للهرب الى الكويت

مارس الشيخ حافظ وهبة العمل الوطني مُبكراً فاضطرّه الاحتلال الإنجليزي إلى الهروب خارج مصر، فاختر الكويت . وفي الكويت بنى الشيخ مجده الأول مُعلما وناصحا ومستشارا للبيت الحاكم .

بداية معرفته بالملك عبد العزيز

ومن خلال المفاوضات مع حكام الكويت عرفه السلطان عبد العزيز آل سعود (قبل أن يُصبح ملكا) ورأى أنه أولى به وبخبراته من الكويت.

البلاط الملكي السعودي من قبل نشأته

وهكذا أصبح الشيخ حافظ وهبة هو العقل البارز في البلاط السعودي حتى من قبل نشأة هذا البلاط ، وكان هو الذي تولى تنظيم العلاقة بين السعوديين وبريطانيا (في عهد الملك جورج الخامس) حيث كان هو مستشار الأمير فيصل حين وقّع

المعاهدة مع بريطانيا وهو لا يزال في الحادية والعشرين من عمره .ثم كان الشيخ حافظ وهبة هو مهندس العلاقات السعودية العربية بدءاً بالعلاقة مع مصر.

السفير السعودي في لندن

ثم كان هو السفير السعودي في لندن ، حين كان السفير لا يزال يُسمّى بالوزير المفوض فحسب.

تصميم العلم السعودي

كان من حُسن حظ السعودية أن يُسهم هذا العقل الذكي في وضع كثير من صيغ تعبيرها عن توجهاتها بما في ذلك تصميم العلم السعودي الشهير، وبما في ذلك أيقونات التعبير المشهورة عن السياسة السعودية عربيا وإسلاميا في عصر كانت هذه السياسة تحظى بالقبول ، وتسعى لهذا القبول.

أسرته

من الجدير بالذكر أن أسرة الشيخ حافظ وهبة عاشت في مصر حتى وهو مستشار للملك عبد العزيز آل سعود وسفير للسعودية في لندن ، وليس أدل على بقائهم في مصر من زيجات بناته :

- فابنته آمال الشهيرة بعزة تزوجت المحامي المصري عبد المنعم الجمال وكان هذا المحامي المصري ابنا لمحافظ السويس، أما والدته فكانت ابنة النائب العام المصري طاهر باشا أنور.
- و ابنته بثينة حافظ وهبة كانت زوجا لرئيس مجلس إدارة شركة الحديد الصلب المهندس سمير طاهر
- و ابنته ثريا كانت متزوجة من السفير محمد عبد الوهاب
- و ابنته ليلي حافظ وهبة كانت متزوجة من المهندس عادل أحمد حسن الذي عمل رئيسا للجهاز المركزي للمحاسبات بعد الدكتور عاطف صدقي مباشرة .

أما الشيخ حافظ وهبة نفسه فكان زوجا للسيدة اعتدال يوسف زادة ، وهي من عائلة تضم عددا من الضباط العسكريين الذين ارتبطوا بثورة يوليو ١٩٥٢ وأنظمة الحكم المتعاقبة فيها ، وكان منهم بعض السفراء ، كما كان منهم سعيد زادة الذي عمل كبيرا للأمناء برئاسة الجمهورية لفترة طويلة.

الفصل الحادي عشر : الشيخ عبد الله فيلبي

صاحب المشورة في ثلاث دول عربية

هاري سان جون بريدجر فيلبي

كان الشيخ عبد الله فيلبي هو نفسه هاري سان جون بريدجر فيلبي، وهو شخصية من الشخصيات المتميزة ، لكنه ليس من الشخصيات النادرة ، كما أنه شخص مُتفوّق ، لكنه لم يصل إلى درجة العبقرية .

التفاوت في تقديره ، تاريخ لا يصرح الا من خلال رد الفعل

كان الشيخ عبد الله فيلبي في نظر الأوربيين والأمريكيين و في تصويرهم التاريخي الذي هندسوا كتابته "بطريقة إمبريالية" بمثابة المستشار المُفضّل (بل الوحيد) للملك عبد العزيز آل سعود في الشؤون الخارجية، لكنه في حقيقة الأمر لم يكن المُفضّل ، وإنما كان قريباً من المُفضّلين، فقد كان هناك من الشوام والمصريين من يفوقونه قيمة وتأثيراً .

ولما كان التاريخ السعودي في العقود الأخيرة يخضع في جزء كبير منه إلى طبيعة رد الفعل السعودي على ما يرويه الآخرون، فإنه إذا ما حدثت استئثار للذاكرة السعودية وجدت نصوصاً تُثبت حقائق مختلفة لم تكن مكتوبة من قبل ، وإن كان النفي المطلق لأطروحات الآخرين هو الطابع الغالب على تعليقاتهم .

التشكيك في مصداقية الدور الذي لعبه أيُّ مُستشار

ومن المعروف أن المؤرخين شبه الرسميين في المرحلة الماضية قد أجادوا التشكيك في مصداقية كلِّ رواية ارتفعت بشأن الدور الذي لعبه أيُّ من مُستشاري العائلة السعودية، ، وينطبق هذا على حالة الشيخ عبد الله فيلبي ، وقد كان لهذا نتيجة لم تخطُر على بال هؤلاء المؤرخين الرسميين ، وهي أن الصورة الذهنية المُنتظمة عن أمثال عبد الله فيلبي في ظلّ التقليل السعودي من دوره صحبت معها بالتلازم الأوتوماتيكي الإبقاء على دوره الخادم للإمبراطوريات الغربية، بما جعل المُحصلة النهائية صورة أقرب ما تكون إلى أن يكون صاحبها جاسوساً غربياً خدع العرب ووصل في بلاطهم إلى أرفع المراتب ، بينما هو يخدمُ غيرهم! وفي حالة عبد الله

فيلبي ، فإن من الواضح أنه بالرغم من أنه بريطاني فإنه كان يخدم المصالح الأمريكية وحدها بدهاء عجز معاصروه عن إدراكه، وهم معذورون .

الإشكاليات في تمييز المستشار من الجاسوس

من الحق أن نقول إنه قد أصبح من الأمور المُلحّة الآن أن يتضاعف الجهد السعودي في إعادة صياغة مثل هذه الإشكاليات التي يملكون كثيراً من الحقائق بشأنها بينما الصورة المتاحة في الكتابات الغربية دائبة الحرص على أن تُقلل من قيمة مهارتهم كأصحاب شأن في معرفة المُستشار من الجاسوس، والمُتعاون من العميل، والصديق من العدو.

تكوينه العلمي والعسكري

عاش عبد الله فيلبي ما بين ١٨٨٥ و ١٩٦٠ ، وبدأ حياته بالدراسات الاستشرافية التي كانت تُوهل لدور الموظف الدولي أو الدبلوماسي أو الجاسوس على حد سواء ، فدرس اللغات الشرقية في جامعة كمبريدج وانتهى منها في ١٩٠٧ ، وأصبح مؤهلاً للتعامل بأهم اللغات الشرقية وهي اللغة العربية التي أجادها إتادة تامة كعادة المستشرقين من أمثاله، لكنه أثر أن يوظف معرفته باللغة في خدمة فكرة الإمبراطورية على حد التعبير التاريخي الدقيق.

ومن الطريف أن الاتصال بجزيرة العرب وأهلها كان في النظام البريطاني الاستعماري محلاً لمسئولية كيانيين بريطانيين كبيرين، الكيان الأول هو الوجود البريطاني في العاصمة المصرية القاهرة، والثاني هو الوجود البريطاني في الهند، وهو السبيل الذي استوعب نشاط هذا الرجل ،على سبيل المثال .

بدأ حياته في الهند

بدأ عبد الله فيلبي حياته في الهند، وتصادف أيضاً أن كان لعلاقته بالهند رافدان مُهمان، فأما الأول ، فهو أنه هو نفسه قد ولد في سيلان (سيرلانكا الآن) ، حين كانت تخضع للاستعمار البريطاني ، وإذا كان هو قد وُلد في ١٨٨٥ ، فإن أحمد عُرابي وصحبه كانوا منفيين إليها منذ فشل ثورتهم في ١٨٨٢ ، أما الرافد الثاني لعلاقته بالهند ، فهو أنه زامل زعيمها نهرو (١٨٨٩ - ١٩٦٤) وأقران نهرو من الهنود .

ابن عم المارشال مونتجومري

كانت لعبد الله فيلبي علاقة قرابة أفادته كثيراً في حياته، فقد كان بمثابة ابن عم للفيلد مارشال مونتجومري (١٨٨٧ - ١٩٧٦) ، القريب منه جدا في السن ، و قائد

قوات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية الذي تحقق للحلفاء النصر على يديه في معركة العلمين وفي معارك الساحل الشمالي في مصر ، وما يطلق عليه في أدبيات التاريخ شمال افريقيا ، وقد كان مونتجومري نفسه شاهداً على عقد الزواج الأول لعبد الله فيلبي في ١٩١٠ .

المقارنة المستدعاة بينه وبين لورنس العرب

نظرا للمكانة البارزة والساحقة التي حققها لورنس العرب ١٨٨٨- ١٩٣٥ من خلال ما استقر في وجدان المشاهدين من خلال ذلك الفيلم المشهور ، فقد أصبح كل الغربيين من المتعاملين مع العرب يقيمون بل و يقدمون بالمقارنة بلورنس تاريخيا و عمليا .

النشاشيبي يرى أنه نجح فيما عجز عنه زميله وصديقه لورنس

وقد سجل الأستاذ ناصر الدين النشاشيبي حواراً له مع عبد الله فيلبي في سنواته الأخيرة ، وأضاف إلى هذا الحوار آراءه هو نفسه في عبد الله فيلبي ، وفي كتابه " ماذا جرى في الشرق الأوسط " : اختار الأستاذ ناصر الدين النشاشيبي عنوانا موحيا للفصل الذي كتبه عن عبد الله فيلبي ، فكان هذا العنوان هو : لورنس رقم ٢ ، لكنه في نهاية ذلك الفصل أخذ يقول رأيه الأعمق وهو إن لورنس كان شيئاً من عبد الله فيلبي، وليس العكس.

بل إن الأستاذ النشاشيبي كتب في مقدمته لفصله أن عبد الله فيلبي نجح فيما عجز عنه زميله وصديقه لورنس ، الذي عجز عن أن يُداري التضارب والتناقض بين حاضره وماضيه، وقرّر أن يهجر العرب ويُغادر الشرق الأوسط، وينسى الصحراء ، أما عبد الله فيلبي ، فقد نال أقصى المكافآت على حد تعبير النشاشيبي فأعطته "الصحراء" مكاناً سامياً بجانب الجالسين على عروشها، وقاسمته المال العائد من ثمن البترول المستخرج من أرضها، وصبرت طويلاً طويلاً على كيده حتى عندما هاجم حُكّامها وألف الكتب التي زيّنها بشخصيته الخاصة.

رأي عبد الله فيلبي نفسه في لورنس

أما عبد الله فيلبي نفسه ، فقال للنشاشيبي إن لورنس كان مُخلصاً للعرب كلّ الإخلاص وإنه لولاه ما نجحت الثورة العربية. لكن فيلبي كان يقول عن كتاب لورنس "أعمدة الحكمة السبعة" إنه كتاب عن الحرب عند العرب وليس عن العرب مثل كتبه هو.

تصوير الأستاذ النشاشيبي لمجمل تاريخه

وقد ذهب الأستاذ ناصر الدين النشاشيبي في آرائه إلى اتهام عبد الله فيلبي بأنه لم يأخذ من الإسلام إلا اسمه ، ولم يأخذ من الشرق إلا الكوفية والعقال، ولم يخدم العرب إلا عندما فكّر أن يخدم نفسه. ثم يقول في نهاية الحديث عنه أنه حين مات في أول أكتوبر ١٩٦٠ في بيروت لم يُشَيِّع جنازته على ما رواه النشاشيبي إلا ولده وزوجته وأربعة حمّالين نقلوا النعش إلى مثواه الأخير.

مكانته في ثلاثة أقطار عربية

كان الشيخ عبد الله فيلبي يلخص مراحلها في الحياة العربية في أنه كان أول إنسان قابل فيصل الأول على أرض العراق ، حين أصبح فيصل الأول ملكاً للعراق، وأنه (بعد لورنس العرب) ثاني مستشار للملك عبد الله الأول ملك الأردن ، وأنه رابع مستشار بريطاني للملك عبد العزيز بعد شكسبير و ستورز و هاملتون .

حياته في بلاد العرب بدأت في البصرة

بدأت حياة الشيخ عبد الله فيلبي في المنطقة العربية حين قدم إلى البصرة بعد تمكن البريطانيين من الفوز فيها على قادة الانقلاب العسكري الذين كانوا تسلموا مقاليد الأمور في الدولة العثمانية ، وسرعان ما أصبح عبد الله فيلبي مُرشحاً للعب دور في مواصلة خداع العرب ودفعهم إلى خيانة العثمانيين من أجل مصلحة بريطانيا ، بينما يظنون بأنفسهم أنهم يُحقّقون الاستقلال.

وخلافاً لما هو شائع في المصادر التاريخية العربية المُتاحة الآن، فإن عبد الله فيلبي يروى أنه عمل في العراق مستشاراً لوزير الداخلية ثم وزيراً للداخلية (!) وأنه "عارض" السياسة البريطانية في العراق فقدم استقالته لبييرسي كوكس (١٨٦٤-١٩٣٧) ، وسافر إلى لندن.

عمله مستشاراً للملك عبد الله

في لندن التقى فيلبي مع تشرشل الذي كلّفه بأن يكون مستشاراً للأمير عبد الله أمير شرق الأردن ، وهكذا عمل فيلبي ٣ سنوات مع الأمير عبد الله والركابي رئيس الوزراء كما يروي أنه كان على حد تعبيره يريد مزيداً من الحرية لحكومة الإمارة ، وذلك حتى لا تنقيد حرية القرار الأردني ، ولهذا فإنه لم يُشجّع توجه الركابي الذي قرر أن يطلب مالاً من البريطانيين لدعم موازنة الإمارة الناشئة ، لكن الركابي في رأيه اختار المال وفضله على ما أغراه به فيلبي من حرية القرار ، ولهذا فإنه لما

قابل الركابي هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني في القدس وطلب زيادة المعونة، ووافق صموئيل، فإن الشيخ عبد الله فيلبي أثر أن يستقيل و يعود إلى لندن.

لقاؤه مع الرحالة المشهورة روزيتا فوربس

في أثناء وجود عبد الله فيلبي في الأردن (١٩٢١ - ١٩٢٤) التقى مع الكاتبة والرحالة المشهورة روزيتا فوربس (١٨٩٠ - ١٩٦٧) (التي يعرفها المصريون بأنها التي اتخذت من الرحالة أحمد حسنين ١٨٨٩ - ١٩٤٦ زميلاً لها في استكشاف واحة الكفرة الليبية) ، وكانت هذه السيدة الرحالة قريبة منه في السن والعمر، فقد ولدت بعده بخمس سنوات وعاشت بعده ٧ سنوات وقد وصفت رحلتها في كتابها "سر الصحراء الكبرى".

رحلة فوربس معه ومع عائلته إلى البتراء

وفي ١٩٢٣ رافقت الرحالة روزيتا فوربس الشيخ فيلبي وعائلته في رحلة إلى البتراء بالأردن، وقد مولت صحيفة ديلي تليجراف رحلة لهما إلى الربع الخالي ، لكن الرحلة فشلت ، فبدأت هي رحلتها وعلاقتها الواسعة مع الزعماء أتاتورك وستالين وهتلر وموسوليني.

كان الشيخ عبد الله فيلبي يرى أن الملك فيصل (ملك العراق) يتميز برجاحة العقل والتعقل، وأن الملك عبد الله (ملك الأردن) يتميز بالذكاء ، لكنه لا يعرف الاستقرار.

وصوله للسعودية و استحواذه على ثقة الملك عبد العزيز

ظل عبد الله فيلبي مُرشحاً لمواصلة لعب دور أكبر في مواصلة خداع بعض العرب ودفعهم إلى الغدر بإخوانهم من العرب المسلمين من أجل تحقيق مصلحة بريطانيا ، وذلك بتشجيعهم على الانقسامات المتتالية و تشجيعهم على أن يظنوا أنفسهم يُحَقِّقُونَ الاستقلال.

ومن أجل هذه المهمة ، توجه عبد الله فيلبي إلى الرياض ، حيث قابل الإمام عبد الرحمن والد الملك عبد العزيز ثم الملك عبد العزيز نفسه ، وأقام في قصره مع جنوده وخدمه في الصحراء ، وكانت أول خدماته للملك عبد العزيز أن نظم رحلة بالجمال من الرياض إلى جدة، وقد صورت الأدبيات الغربية هذه الرحلة وكأنها فتح كبير.

هكذا انتقل الشيخ عبد الله فيلبي إلى الرياض وسرعان ما نال ثقة الملك عبد العزيز. وقد ذكر عبد الله فيلبي للنشاشيبي أنه لم يكن أول بريطاني يعمل مع الملك عبد العزيز ، وإنما كان الرابع، فالأول هو الكابتن شكسبير الذي قُتل في معركة بين آل سعود وآل الرشيد ، والثاني هو ستورز الذي لم يستطع البقاء كثيراً ، حيث داهمه

المرض فاستقال ، والثالث هو الكولونيل هاملتون الذي فشل في مهمته فصدر الأمر بالاستغناء عنه.

وفي تلك التجربة السعودية جمع عبد الله فيلبي بمهارة ودهاء و اقتدار بين الجاسوسية والسياسة وتجارة السلاح والوساطة والسمسرة ، و تنسب كثير من المصادر إليه أنه كان مندوب البريطانيين لإقناع الملك عبد العزيز آل سعود بمحاربة آل الرشيد وأنه لم يجد صعوبة في هذا الإقناع لأن موازنة الملك عبد العزيز آل سعود كانت تعتمد تماما على المساعدات البريطانية المُقدّمة له.

عمله في تجارة السيارات والراديو

نشط عبد الله فيلبي في إقليم الحجاز عن طريق تجارة السيارات والراديو والتليفون ، و أصبح وكيلاً لشركة فورد للسيارات ، وكان من الذين عملوا على أن يفوز الأمريكان بدلاً من البريطانيين بامتياز التنقيب عن النفط في الجزيرة العربية، (وكان هو أحد مستشاري الملك عبد العزيز في مفاوضات النفط) وكان يزعم أنه بهذا يُحارب الإمبريالية البريطانية وكأنه (بدهائه) لم يكن يدري عن الإمبريالية الأمريكية القادمة شيئاً.

إعلانه إسلامه

وقد أثر عبد الله فيلبي أن يعيش الحياة العربية بكلّ ما فيها، وانتهى به الحال أن اندمج فيها تماما وأعلن إسلامه ١٩٣٠ ، كما تزوج من السيدة روزة العبد العزيز ، وهي بلوشية من إيران، وقد اختارها له الملك عبد العزيز آل سعود وأنجب منها ولديه خالد وفارس، وقد كان له من السيدة دورا جونسون زوجته الأولى التي تزوجها في ١٩١٠ ابن ، وثلاث بنات.

وقد ورث الابن مجد أبيه في المخابرات البريطانية ، إلى أن اكتشف البريطانيون في ١٩٦٣ أنه عميل أيضاً للمخابرات السوفيتية! أما ابنه خالد فقد نال وظائف مرموقة في الأمم المتحدة ، فعمل مُنسقاً في الكويت وتركمنستان.

الخدمات التي قدمها للسعوديين

صوّرت الأدبيات الإمبريالية الغربية باعتزاز صفيق أدوار البطولة والتوجيه لعبد الله فيلبي في حروب الملك عبد العزيز ضد آل الرشيد وضد الهاشميين، وتركت هذه الكتابات إحاء قوياً بأن الملك عبد العزيز كان منفذا لخطة بريطانية استهدفت إزاحة العثمانيين ثم آل الرشيد و الهاشميين والتمهيد لسيطرة غير مباشرة من البريطانيين والأمريكيين على جزيرة العرب . وتصل بعض هذه الكتابات إلى إرجاع

الفضل إلى عبد الله فيلبي في إنشاء شركة أرامكو نفسها كما أشرنا ، وتأسيس المملكة العربية السعودية على النحو الذي تأسست به.

طرده من السعودية وعودته إليها

لا تمضي الأمور دوماً في خط واحد ، ففي ١٩٥٥ طُلب من عبد الله فيلبي مُغادرة السعودية بعد محاضرة ألقاها في الظهران وانتقد فيها الحكومة السعودية ، وفي ١٩٥٦ عاد للرياض بعد مصالحة مع الملك سعود.

لكن مصالحة عبد الله فيلبي سرعان ما انتهت بخلاف مع السعوديين في العام التالي ، ولهذا فإنه قضى السنوات الثلاث الأخيرة من حياته في لبنان ، وانصرف إلى الهجوم على السعودية بكل ما كان يملك التذليل به على ما يذهب إليه وبخاصة في كتابه «أربعون سنة في الخلاء» ، وقد روي الناشئبي أن عبد الله فيلبي حين التقاه في أخريات حياته كان يؤكد له على أن الحلّ الأمثل للسعودية هو الرجوع إلى الحياة الأولى : حياة الجمال والحمير والخيام والتكشف والبساطة.

علاقته بالحكومة البريطانية و بعض آرائه

كان عبد الله فيلبي يلخص إنجازاته في الحياة بأنه ألف ١٥ كتاباً ، أولها كتابه : "قلب الجزيرة" ، وأنه عاش الثورات والحروب والانقلابات ، و كان فيلبي ينتقد كثيراً من السياسات البريطانية في كتاباته ، فانتقد وعد بلفور ، كما انتقد محاولة فرض الحسين بن علي ملكاً على الجزيرة العربية ، وكان ينتقد أيضاً السياسة البريطانية حول البريمي التي احتلتها الانجليز ١٩٥٥ .

ظلت علاقة عبد الله فيلبي بالحكومات البريطانية سيئة، وقد تجسست عليه المخابرات البريطانية في أثناء الحرب العالمية الثانية واتهم بالميل إلى ألمانيا، واعتقل في الهند ونقل إلى بريطانيا وظلَّ فيها طيلة الحرب.

اهتمامه بالطيور و تسميتها

بالإضافة إلى كلِّ أنشطته الجاسوسية والدبلوماسية والتجارية، فقد بدأ الشيخ عبد الله فيلبي حياته بالاهتمام بالطيور، وكان هو مَنْ أعطى الاسم العلمي للطائر المعروف بنقار الخشب العربي الذي كان يُعد أحد أنواع البومة ، ويروي أيضاً أنه اختار للطيور التي سمّاها أسماء نساء كان مُعجباً بهن ، وقد بقي ذكره في كتب الطيور مع ذلك الطائر الذي يعيش في جنوب غرب السعودية واليمن و المسمى باسمه : حجل عبد الله فيلبي.

الفصل الثاني عشر : جلوب باشا

الذي اختاره العرب كي ينهزموا بقيادته في ١٩٤٨

كان شابا في صورة شيخ

نبدأ الحديث عن جلوب باشا ١٨٩٧-١٩٨٦ بذكر حقيقة مهمة تتعلق بمولده وعمره ، وهي أنه على عكس ما هو متصور من كبر سنه أو من قربيه في السن من الملك عبد الله الأول (١٨٨٢-١٩٥١) ، فإنه من مواليد ١٨٩٧ ، أي أنه حين كان قائداً للجيش العربية في حرب فلسطين ، كان قد تجاوز الخمسين بعام واحد فقط ، وهكذا فإنه كان قريباً في السن من القادة العرب الذين اشتهروا بعد ذلك بسبب الانقلابات العسكرية (حسني الزعيم ١٨٩٧ وسامي الحناوي ١٨٩٨ ومحمد نجيب ١٩٥١) .

ومن حسن حظنا أن صحفياً عربياً مرموقاً هو الأستاذ ناصر الدين النشاشيبي عاشر جلوب باشا في مراحل حياته المختلفة ، و حاوره ، و تحاور عنه ، ومن بين مئات الصفحات التي كتبها عنه في أكثر من كتاب و جريدة فإننا سننقل عنه في هذا الفصل أربعاً من الاقتباسات المهمة .

قيمه العسكرية

ننتقل إلى الحديث عن القيمة التاريخية السلبية لهذا القائد العسكري التي تمثلت في مرحلتين مهمتين أبدأ بثانيهما ، وهي طرده أو إقالته من قيادة الجيش الأردني في مطلع مارس ١٩٥٦ ، وقد كان صاحب هذا القرار هو الملك حسين الذي كان لا يزال ملكاً حديث العهد بالملك (وُلد ١٩٣٥ ونُصّب ملكاً ١٩٥٢) ، كما كان لهذا القرار صدى رهيب في الأوساط العربية ، حتى بدا وكأنه الحدث التالي في الأهمية لقيام ثورة ١٩٥٢ في مصر .

ولم يكن في هذا التصوير مبالغة ، فقد دشّن الملك حسين بهذا القرار صورة متميزة من استقلال الأردن ، في ذلك العصر الذي ارتفعت فيه نغمة الحديث عن الاستقلال الوطني ، كما دشّن الملك حسين بهذا القرار وجوده هو نفسه في الصف العربي وفي الصف الناصري، وقوم به مُبكرًا أي توجه أر عن لاستيلاء العسكريين على السلطة من خلال ما سُمّي بحركة الضباط الأحرار في الأردن، تقليداً لموجة (أو صرعة) الانقلابات العسكرية التي أحاطت بالأردن . حدث هذا مع ما كان

متوقعا من أن تلتهم الانقلابات العسكرية الاردن كما التهمت سوريا ثم مصر ثم العراق فيما بعد عامين وتركيا بعد أربعة أعوام ، فإذا بالملك الشاب يتعاون تماما مع حركة الضباط الأحرار حتى بدا وكأنه احتواها ووجهها .

وكانت هذه الحركة تنظيماً سرياً تعاون معه الملك حسين في الخلاص من هذا القائد البريطاني ، وكان قائد هذه الحركة هو اللواء الركن علي باشا أبو نوار (١٩٢٤ - ١٩٩١) ، وهو الذي تولى رئاسة الأركان في ١٤ مايو ١٩٥٦ أي بعد طرد جلوب باشا ، وترقى لهذا الغرض من رتبة مقدم إلى رتبة لواء (اقتداء بما حدث مع عبد الحكيم عامر، وإن كان عبد الحكيم عامر كان حين رُقي لا يزال في رتبة الصاغ) وبهذه الترقية المُبكرة إلى لواء في ١٩٥٦ (وهو في الثانية والثلاثين من عمره) أصبح علي أبو نوار أصغر لواء في تاريخ الجيش الأردني (كان عبد الحكيم عامر في الرابعة والثلاثين حين مُنح رتبة اللواء).

أما أول المواقف المهمة في تاريخ جلوب باشا ، فهو دوره في حرب ١٩٤٨ ، وهو موقف معقد كما أنه متراكم الجزئيات ، وسنحاول أن نتناوله بالتفصيل.

الجيش الأردني تحت قيادته قبل حرب ١٩٤٨

بدأ موقف جلوب باشا من حرب فلسطين والصراع مع العصابات الصهيونية ثم الكيان الصهيوني يتشكل في طريق الفشل منذ عجز (وهو العسكري البريطاني المتميز) عن أن يُقنع بريطانيا بالسماح لكتيبة واحدة من كتائب الجيش العربي الذي يقوده هو نفسه بأن تُساهم في الحرب العالمية الثانية المندلعة في أوروبا ، أسوة بما كان اليهود قد حصلوا عليه من فرصة عسكرية بالاشتراك بالفيلق اليهودي في الحرب من خلال الجيش الثامن البريطاني.

ومع هذا ، فإنه في أثناء هذه الحرب العالمية الثانية سارع جلوب باشا بتحريك الجيش العربي الأردني لخدمة الثورة المضادة في العراق ضد حركة بكر صدقي الانقلابية .

وهكذا كان جلوب باشا من حيث يدري أو لا يدري يصنع القُدوة المُبكرة للجيش العربية في اقتصار دورها على خدمة الثورة المضادة بسرعة وفعالية ، وذلك في مقابل التقصير في خدمة الوطن .

الوقوف مع ديجول ضد حكومة فيشي

ومع هذا التحجيم الدولي المقصود لهذا الجيش الوليد ، فإن هذا الجيش الأردني نفسه (كان يسمى بالجيش العربي) ، وبقيادة جلوب باشا نفسه أتاح لأفراده فرصة

تدريب جيدة ، حين ساهم ببعض قواته مع قوات فرنسا الحرة (بقيادة ديغول) في مواجهة القوات الفرنسية التابعة لحكومة فيشي ، وهو ما افتخر به الملك عبد الله حين تحدث في مذكراته عن الزمن الذي حصلت فيه المعارك (يونيو ١٩٤٢) .
وبهذه المساهمة ، انضم جلوب باشا نظريا إلى القادة المنتصرين في الحرب العالمية الثانية ، كما انضم إلى الأجانب المستعربين المؤثرين في العرب والمتأثرين بالعرب .

وليس صعبا علينا أن نفهم أن وقوفه مع ديغول كان بطلب أو بأمر من القوة التي كانت تساند ديغول وهي بريطانيا .

كل هذا مهّد للثقة في جلوب باشا ليكون من بين قادة العرب في حرب فلسطين، بيد أنه في واقع الأمر سرعان ما ظهر وكأنه لم يكن على مستوى هذا الشرف ولا هذه المسؤولية، وزاد على هذا أنه تنصّل من مسؤولياته كقائد للجيش وصوّر نفسه موظفاً يأتّمر بأمر الملك والحكومة، ويلتزم بخُطّ الحكومة الحربية.

بداياته العسكرية قبل قيادته للجيش الأردني

بدأ جلوب باشا حياته العسكرية (منذ ١٩١٥) بالخدمة مع الجيش البريطاني في فرنسا وبلجيكا في أثناء الحرب العالمية الأولى ، ثم نقل إلى العراق كمهندس حربي، وفي العراق أصيب بالرصاصة التي خلّفت أثرها في حنكه ، فأعطته لقبه المشهور أبو حنيك ، واستطاع أن يتّصل بالقبائل العربية على نحو مُكثّف ، حتى إنه أصبح بمثابة أحد أهم المفاتيح المهمة للتوازنات القبلية في تلك المنطقة المتصلة من جنوبها بجزيرة العرب ، وبما عرف بعد ذلك (منذ ١٩٣٢) على أنه المملكة العربية السعودية ، وقد قطع الصحراء العربية من العراق إلى الأردن (١٩٢٤) في رحلة على ظهر جمل، ولما كانت العراق والأردن تخضعان للحكم الهاشمي فقد كان من الطبيعي أن ينتقل جلوب من العراق ليكون قائداً للجيش الأردني خلفا لابن وطنه فرديريك بيك (١٨٨٦ - ١٩٧٠) والذي كان قائداً للدرك (الشرطة) في الأردن مع قيادته للجيش الأردني، و فرديريك بيك هو نفسه الذي ينسب إليه كتاب مشهور باسمه عن عشائر الأردن الذي ترجمه بهاء الدين طوقان.

من العراق الى الأردن

لم يكن الانتقال من خدمة الهاشميين في العراق إلى خدمة الهاشميين في الأردن أمرا غريبا ، فقد حدث هذا مع جون فيلبي أيضا ، بل إن الركابي رئيس وزراء

الأردن المشهور كان قد تولى رئاسة الوزارة في سوريا في عهد الملك مع الملك فيصل الأول .

صداقته للملك عبد الله

كان جلوب باشا صديقاً للملك عبد الله، وكانت صداقته تستند إلى التوافق والموافقة بأكثر مما تستند إلى الحب، وكان قادراً على أن يعزف ألحان الوفاق والاتفاق والموافقة على منوال الملك عبد الله ومعتقداته وأحاسيسه، كان كالأذكى الذين يخصصون معظم جهدهم في الاستيلاء على ثقة الرأس الكبيرة إلى أقصى مدى، ويشغلهم هذا عن العناية بالنفوس الأخرى، وتقلب الأوضاع، ونمو الوعي، وازدياد خبرة مرؤوسيه.

ملازمته للملك الا في يوم اغتياله

ظل جلوب باشا قائداً للجيش الأردني ما بين ١٩٣٩ و١٩٥٦، وكان وثيق الصلة بأسرة الملك عبد الله وحاشيته، بل حمل أبنائه الجنسية الأردنية ودفنوا في عمان، بل إن ابنه جودفري اعتنق الإسلام وعاش في مجتمعات عربية، وتوفي في الكويت في ٢٠٠٤.

وروى الأستاذ ناصر الدين النشاشيبي أن جلوب باشا لم يتخلف عن مصاحبة الملك عبد الله في زيارته للضفة الغربية والقدس، إلا في زيارة الملك عبد الله الأخيرة التي قتل فيها على أبواب المسجد الأقصى، وكان السبب هو ذهابه وجميع الضباط الانجليز إلى حفل أقامه المستر جاليتي في مدينة أربد بمناسبة ترقبته إلى رتبة البريجادير.

هل ذابت شخصية جلوب باشا في المجتمع العربي؟

عُرف جلوب بالتزامه باللغة العربية في حديثه، كما عُرف بالجدية الشديدة والدأب على العمل، وقد نجح في تكوين الجيش العربي الأردني من عناصر متعددة منها الشركس والشيشان والأرمن بل واليونان، كما كان يضم عدداً من العناصر العسكرية العربية المضطهدة في بلادها بسبب آليات الاستقلال والصراع على السلطة.

وقد نالت نجاحات جلوب باشا المؤسسية المحدودة في الأردن أقصى ما تستحق من التقدير، فإليه يرجع الفضل في إنشاء "قوات البادية" التي لم يكن ينضم إليها أحد من غير البدو، وإلى جلوب باشا يرجع الفضل في الاستقرار الذي تحقق في المنطقة الواقعة جنوبي الأردن وشمال الحجاز.

النشاشيبي يرى أنه عاش بشخصيتين

وصف الأستاذ النشاشيبي جلوب باشا بأنه عاش الأربعين سنة الأخيرة من حياته بشخصين وحياتين: العربي المستشرق المسلم البدوي من شروق الشمس وحتى غروبها، والبريطاني المتعصب البروتستانتى الانجيلي من غروب الشمس حتى شروقها، وروي أنه كان يعتزُّ بكتاب لورنس "أعمدة الحكمة السبعة" ويضعه على الدوام في سيارته. ووصفه أيضا بأنه أحب الصحراء العربية لا الحياة العربية وأن حبه كان للخيام لا للمدينة أو العربية، و قال إنه كان يجد في حبه للصحراء هروباً من الواقع، لأنه كان يكره الواقع، ويكره الحقيقة، وقد بلغ من هذا الحب أنه أرجع السبب في نكبة فلسطين إلى أن العرب الذين يسيطرون على الأمة العربية كانوا من الحضرة لا من البدو.

تصوير العرب لخيانة جلوب باشا في حرب فلسطين

تحرص المصادر التي تناولت تاريخ حرب فلسطين على التدليل على صور متعددة من الخيانة والتضليل اللذين مارسهما القائد جلوب، بما يتعارض مع أصول الولاء الذي يتوقع منه وفاء لعمله ووظيفته في الوطن الذي احتضنه وأعطاه هذه المكانة الرفيعة، لكن نفس جلوب باشا فيما يبدو للمؤرخ المتفحص كانت أصغر من أن تستوعب حركة التاريخ، كما كانت أقل من أن تصل إلى الولاء الذي يتطلبه الموقع الذي شغله صاحبها، ومن ناحية ثالثة فقد كان جلوب باشا عسكرياً تقليدياً لا يعرف قيمة الإيمان ولا تأثيره في المسلمين، ولم يكن يعرف قيمة الأماكن المقدسة ولا تاريخها الإيماني في حياة المسلمين.

ووصل الأمر بجلوب باشا نفسه إلى أن يُصرح أنه كان يفهم مهمته على أنها استلام الجزء العربي من فلسطين حسب قرار التقسيم الدولي الصادر عام ١٩٤٧.

الانسحاب المريب قبل الحرب

على أن الأكثر من هذا مدعاة للاشمئزاز أنه في ظل التحرشات بين العرب بعضهم وبعض، كان الاتفاق قد قضى بانسحاب الجيوش العربية من فلسطين قبل أن ينتهي الانتداب البريطاني المحدد سلفاً، وكأن العرب كانوا لا يفقهون أن معنى هذا أن تُتاح فرصة لليهود لينالوا أكثر مما يُتيحه قرار التقسيم، وهنا يأتي ما هو أكثر بكثير من الاشمئزاز، وهو أن جلوب باشا لم ينسحب إلى حدود التقسيم فحسب، وإنما انسحب بعيداً جداً عن أرض المعركة وبالتحديد في معسكر الزرقاء، أي على بُعد ساعتين من نهر الأردن الذي يفصل بين شرق الأردن والضفة الغربية.

وحيث كان في وسع جلوب باشا أن يدخل بالجيش الأردني إلى القدس ويستولي عليها كلها ، فإنه لم يفعل ذلك إلا بعد خمسة أيام من بدء الحرب أي في ١٩ مايو.

قبوله بتخفيض عدد أفراد الجيش الأردني

بل إن جلوب باشا تقبل راضياً ما فرضه التخطيط الغربي الخبيث بعيد النظر ، حين طلب إلى الأردن تخفيض عدد أفراد الجيش، فأصبح ٦ آلاف جندي في عام ١٩٤٨ ، بعدما كان ثمانية آلاف في ١٩٤٥، أي أن جلوب باشا وافق على تقليل قوة جيشه وعدد أفرادها قبل المعركة (بدون أي داع) ، على عكس ما تتطلبه أي معركة من زيادة الجيش بالتجنيد والتعبئة والاستدعاء.. الخ.

القادة العرب مهما كانوا اقل سوءاً من جلوب

هنا نستطيع أن نفهم أن قادة الجيش المصري أو السوري أو العراقي ، مهما كان تصنيفهم و أدائهم المهني ، كانوا أفضل بكثير جداً من جلوب باشا الذي كان يقود جيشاً قوياً مدرباً جاهزاً للمنازلة على أرض المعركة ، لكنه بفضل غياب البوصلة الصائبة في إخلاص قائده حَقَّق الهزيمة ، بل ربما أنه كان يسعى إليها رغم كل الظروف التي كانت تُمهّد له النصر.

طرده كرس الفرق بين الملك حسين وجده الملك عبد الله

وهنا أيضاً نستطيع أن نفهم الفارق الكبير بين الملك حسين وجده الملك عبد الله ، فقد عاش الملك عبد الله أسيراً للعصر الذي نشأ فيه وهو يشهد إرادة عربية مسلوبة ، بينما كان الملك حسين بشبابه وذكائه يتطلع إلى أن يكون له وللأردن دور كبير في استراتيجيات عصره، وقد تحقق له هذا ، وبكفي هنا أن نذكر ان أداء الجيش الأردني في حرب ١٩٦٧ بقيادة القائد المصري عبد المنعم رياض كان يخلو من التواطؤ الظاهر والجهل المتعمد.

صحيح أن جلوب باشا يلقي بالتبعية على السياسيين العرب الذين لم يكونوا صادقين في قرار دخول الحرب ، لكن هذا لا يمنع من لومه على استراتيجيته في هذه الحرب وعلى أدائه، وهو أداء لا يمكن وصفه بأقل من الخيانة والغدر والعمل ضد الوطن.

تخاذه في حماية الفلسطينيين من المذابح

ننقل أيضاً عن الأستاذ ناصر الدين النشاشيبي ما رواه عن واقعة مذبحة «قبية» الشهيرة، كنموذج لخيانة جلوب باشا للعرب..

" هل تذكرون مذبحه «قبيية» الشهيرة؟ هل تذكرون هذه الواقعة يوم هاجم اليهود بعصابتهم وأسلحتهم مدينة «قبيية» العربية ففتكوا بأهلها وبقروا بطون أطفالها ونسفوا بيوتها؟! إن كنتم تذكرون هذه الواقعة وهذا الاسم ، فاعلموا إذاً أن لجنة برلمانية قد تشكلت يومها للتحقيق في الحادث وتحديد مدى مسئولية الجيش العربي في عدم المبادرة إلى الوقوف في وجه المعتدين وصدّهم. واجتمعت اللجنة وكانت مؤلفة يومئذ من وزير العدل الأردني والنائب حكمت المصري والقائد العسكري الأردني صادق الشرع.

"وجيء بالمتهم وكيل القائد واسمه عكاش الزين ليدافع عن نفسه أو يُبرّر عمله في عدم رد الاعتداء الصهيوني عن القرية العربية. وقالت له اللجنة: «أنت مقصر في عملك!» وسكت القائد ولم يُجب، قيل له «تكلم ودافع عن نفسك» ولكنه سكت ، ولم يتكلم، قيل له: «هل تعترف بتقصيرك؟» ولكن القائد سكت طويلاً قبل أن يصرّخ في وجوه أعضاء لجنة التحقيق: أنا لولا جلوب باشا لُكنت راعي غنم ، وعليه، فإني أرفض أن أتحدث إليكم بكلمة واحدة ما لم يأمرني بذلك سيدي جلوب باشا!! واتصل أعضاء اللجنة بالجنرال جلوب باشا يسألونه أن يأمر هذا القائد ان يتكلم. ولكن جلوب هزّ كتفيه قائلاً: الأمر لا يعنيني!

"وأخيراً، أدانت اللجنة القائد في المسئولية وحملتة نتائج المذبحة الهمجية التي وقعت في قرية «قبيية»، وطالبت بفضله وطرده من الجيش.. ورُفع الأمر إلى جلوب.. هل تدرون ماذا فعل جلوب؟ لقد أصدر أمراً بترقية المتهم وتعيينه مسؤولاً عن الإنشاءات العسكرية العامة التابعة للجيش..

ما بين نكبة ١٩٤٨ و عزله من قيادة الجيش في ١٩٥٦

ظل جلوب باشا فيما بين حرب فلسطين وعزله في ١٩٥٦ يُعاني من الصورة الذهنية السلبية التي رسمتها له الأحداث ، فقد أصبح في معتقد العرب اليقيني بمثابة الرجل الذي وظّف الهدنة لصالح إسرائيل والرجل الذي تكاسل عن أن يُؤمّن للعرب حقوقهم في بلادهم .

أما هو ، فقد كان رد فعله على هذه الاتهامات التي قلّلت من قيمته ، بل وصورته خائناً ، يتمثل في محورين:

- المحور الأول: أن يُلقي بالمسئولية على الإعلام المصري وقوته، وقد وصل في هذا الحد إلى تنبيه محاولة إنشاء محطة إذاعة سرية في عمان (١٩٥٥) لرد هجوم القاهرة والرياض عليه مدة نصف ساعة كل يوم.

■ المحور الثاني: أنه بدأ يتقبل و يتواءم مع فكرة تعريب الجيش، والسماح بترقية الضباط العرب إلى المناصب العليا في الجيش، وقبول عدد أكبر من الضباط العرب في الجيش ، وبالطبع فإنه لجأ في ذات الوقت إلى تفعيل الاحتياطات (أو الفرامل) البريطانية المعهودة من قبيل إطالة المدة اللازمة للترقي ، وشغل الضباط العرب بالمناصب الإدارية ، وهو ما جعل الضباط الأردنيين يُحسون بإحساس شبيه بمشاعر التمرد التي سيطرت على الضباط المصريين فيما قبل ثورة عرابي ١٨٨٢ .

ثورة الضباط الأردنيين وخلصهم من قاندهم جلوب باشا

بدأت خطوات التمرد ضد جلوب ، والتي صادفت قبولاً ذكياً عند صاحب القرار الذي هو الملك حسين ، كما صادفت تطلّعاً مشربئاً إليها عند الناصريين والاتجاهات العروبية في الشارع العربي والإسلامي على حد سواء . وعلى حين كان جلوب باشا يظن ، بل يعتقد ، أن حُسن معاملته للبدو كافية له وكفيلة بأن ينال حب الأردنيين والعرب ، فإن واقع الأمر كان مختلفاً تماماً عن تصوره ، فلم يكن القبول الذي حظي به جلوب بين العشائر كقبول أوسع عند الفلسطينيين والعرب والأردنيين بعد كل مظاهر النكبة التي حاقت بالوطن الفلسطيني والعربي في ١٩٤٨ .

دور اللواء علي أبو نوار

ومن الإنصاف أن نعترف بالدور الفاعل الذي لعبه اللواء علي أبو نوار ، حين أصبح ياوراً خاصاً للملك حسين بعد ما كان مُلحقاً عسكرياً للأردن في باريس، فقد استطاع هذا الضابط النابه أن يوثق للملك حسين (و مؤسسة الملكية الأردنية) العلاقة بضباطه، وهي العلاقات التي لا تزال تمثل أحد صمّامات الأمن في الوضع السياسي الأردني.

ولما كان فخر البريطانيين بالمكانة التي وصل إليها جلوب في الجيش الأردني قد مثل فخراً غير معقول ، من قبيل أن ينشروا مقالاً عن أنه ملك الأردن غير المُتوج ، فإن قرار الملك حسين بدا و كأنه ثورة ناجحة بكل المقاييس .

وربما أننا في عصرنا الحالي لا نستطيع أن نقدر مدى الشجاعة في قرار الملك حسين ، لكن التاريخ يُحدثنا عن بعض ما يصور هذه الشجاعة بل المخاطرة ، فقد حدث أن بعض الضباط الموالين لجلوب باشا حاولوا بالفعل أن يقوموا بثورة مضادة تعيد جلوب باشا إلى موقعه، لولا أن الملك حسين كان من القوة ، بحيث إنه خرج

ليعلن بكل وضوح في الإذاعة بأنه هو المسئول عن القرار ، وأنه هو الذي أمر بطرد جلوب باشا ، وأنه موافق على هذا التوجه.

ذكريات المدادحة وزير الدفاع الذي ودعه عند إقالته

روى الأستاذ ناصر الدين النشاشيبي حواراً له مع فلاح المدادحة وزير الدفاع الذي شهد إقالة جلوب باشا وطرده، وتولى توديعه في المطار وهو راحل إلى بريطانيا ، ومن هذا الحوار نجتزئ بعض الفقرات الموحية بصورة الحقيقة :

"..... ووصلت إلى مبنى القيادة، ومشيت صوب وزارة الدفاع الوطني حيث يقع مكتب السيد فلاح المدادحة، وزير الدفاع الأردني.. قلت لوزير الدفاع الأردني: تكلم وحدثني عن جلوب، فقال: أنا «فرحان».. أنا سعيد جداً.. لقد استعدنا معاني كرامتنا. إن منصب وزير الدفاع في عهد جلوب لم يكن أكثر من.. طرطور! كان يفعل كل شيء ولا يترك لنا شيئاً. كنا بوجوده مجرد أصفار. ولم نكن نستطيع أن نقف أمامه أو نمارس سلطاتنا بوجوده، كنا نجعل كل ما يدور حولنا

" كان يدفن أسراراً في قلبه ولا يستشيرنا في شيء، وأنا لا أستثني من هذا الوصف أحداً. لقد تولى وزارة الدفاع أكثر من وزير، لقد شغل هذا المنصب في الماضي فوزي الملقى وأنور نسيبه وفرحان شبيلات وسليمان طوقان، ولكنهم كانوا ، وأنا منهم، مجرد طرايطير!.. أسرار الجيش كلها عند جلوب.. أسرار المال كلها عند جلوب.. الخطط والسياسة كلها عند جلوب.. أما نحن فكنا نكتفي بما يتفضل به علينا من معلومات!..

– قلت : واليوم؟

– قال وجسمه يقفز من مكتبه: اليوم.. يوم الحرية!

– قلت: أريد أن أسمع رأيك.. في الجنرال جلوب!

– قال: رأيي أنه خائن.. وقد قلت له هذا الرأي عام ١٩٤٨ أمام الملك عبد الله وتوفيق أبو الهدى..

– قلت: أريد أن أسمع القصة..

– قال: كنت يومها وزيراً للدفاع في وزارة توفيق أبو الهدى. وكنا مجتمعين في القصر الملكي مع الملك عبد الله، وجلوب، لبحث موضوع الهدنة في حرب فلسطين، وبدأ جلوب يتكلم، قال لنا: إن مخابئ الأسلحة خالية من الذخيرة! قال لنا: أنه لا يستطيع أن يحارب لأكثر من مدة خمس ساعات! قال لنا: إن الجيش «تعبان»

وأن علينا أن نقبل الهدنة. ثم نهض جلوب ورفع يده بالتحية العسكرية للملك عبد الله واتجه لينصرف.

– نهضت أنا من مقعدي وقلت له: انتظر يا باشا.. أريد أن أقول لك شيئاً!.. أريد أن أقول لك أنك... خائن! أنت خائن كبريطاني، وخائن كأردني! إنك لو صادقتنا وراعيت مصلحتنا لكنك خائناً لبلدك البريطاني، ولو أنك راعيت مصلحة بريطانيا لكنك خائناً لهذا البلد، أنت خائن على كلِّ الوجوه، وأنا بوصفي وزيراً مسؤولاً لا أصدق حرفاً واحداً من كلامك!..

– قلت له: وبماذا أجاب جلوب؟

– قال: اكتفى بالابتسام، بينما نهض الملك عبد الله من مقعده وأمرني بالسكوت! قلت: هل خطر ببالك أن تذكر جلوب بهذه القصة وأنت تحمله بسيارتك أمس من بيته إلى المطار لآخر مرة؟

– قال: أقول لك الحق، لقد أشفقت عليه، كان صامتا كصمت الأموات، ولم يتكلم، ولم يُعلق، وعندما أشرفنا على المطار مال ليقول لي:

– لا أدري سبباً لهذه المفاجأة، ليس لي ذنب في كل الذي حصل!

– قلت له أي للجنرال جلوب: لم تكن يا «باشا» سوى موظف.. والموظف دائماً عرضة لمثل هذه الإجراءات..

كتاباته المناوئة للعهد الجديد في الأردن

غادر جلوب باشا عمان في ٣ مارس ١٩٥٦ عائداً إلى بلاده، وبعد بضعة شهور بدأ ينشر كتاباته المناوئة للعهد الجديد في الأردن، ويرى الأردنيون أن جلوب باشا لم يكن من الذين يكذبون، لكنه كان يقتصر فيما يرويهِ على نصف الحقيقة، فتكون النتيجة كتابة موجهة ضد الحقيقة، ويبدو لي أنه كان يصدر في هذا السلوك عن نفس العقلية التي قاد بها الجيش الأردني وهي عقلية الدهاء الميكافيلي الذي يجعل صاحب الأمر من أمثاله يلتزم بالأخلاق على حين يسمح بصعود غير الأخلاقيين.

صورته الانطباعية في ذاكرة العرب

كسب جلوب باشا كراهية العرب جميعاً باستثناء بعض البدو الذين كانوا قد نشأوا على الإعجاب المحب بشخصية "المستعربة" لكنهم بالطبع سرعان ما تنازلوا عن هذا الإعجاب حين عرفوا أن سياسات جلوب باشا كانت جزءاً أصيلاً في الخيانات التي سببت نكبة فلسطين.

الباب الرابع : إندونيسيا

الفصل الثالث عشر : أحمد سوكارنو

الذي سلبه الناصريون فضله في تأسيس حركة عدم الانحياز

من طرائف الأدبيات الناصرية أنها تتحدث عن أن أقطاب عدم الانحياز ثلاثة هم عبد الناصر و تيتو ونهرو، فإذا ذهبت لأي مرجع غير عربي تناول هذه الحركة بقدر من الإشارة العابرة أو المتمعنة ، فإنك لن تجد الحركة معرّفة على هذا النحو الناصري الثلاثي ، وإنما ستجد الإشارة إليها تتبع المنهج العلمي فتشير إلى أنها نشأت في باندونج التي هي مدينة في إندونيسيا ، و أنها نشأت في عهد الرئيس أحمد سوكارنو الذي دعا زعماء آسيويين و أفارقة لمؤتمر استمر ثمانية أيام وأعلنت فيه الحركة.

كان الاب الروحي لعدم الانحياز

أحمد سوكارنو إذا هو الأب الروحي لهذه الحركة لكنه ترك الحكم ١٩٦٧ قبل عبد الناصر ، وهكذا فقد كان القفز على اسمه من الأمور المعتادة في الأدبيات الناصرية و العربية ، ولو كان تيتو مات قبل عبد الناصر لصك الإعلام الناصري الحركة باسم عبد الناصر وحده كما فعل في شطب محمد نجيب .

أصبح على أقل تقدير من أقطاب عدم الانحياز الخمسة أو السبعة

ومع هذا فإنك لن تعدم في بعض الأدبيات العربية إشارة الى أن أقطاب عدم الانحياز خمسة يأتي أحمد سوكارنو في مقدمتهم أو سبعة يأتي أحمد سوكارنو أيضا في مقدمتهم.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر ، فإن حرص الناصرية على ذكر نهرو لم يكن من باب الولاء لنهرو ، و إنما كان صدق لعلاقة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بالهند ، وهي علاقة براجماتية ظن العسكر أنهم سيكونون المستفيدين منها ، بينما أخرجتهم هذه العلاقة مرة و اثنتين و ثلاثا ، لا لشيء ، إلا لأن الهند كانت قد اختارت الديمقراطية وأمنت بها بينما كان العسكر يكفرون بالديموقراطية ، و يصممون على هذا الكفر في كل

خطوة من خطواتهم، وهكذا فإن التقارب الإسرائيلي الحالي مع الهند لم يكن بعيدا عن التوقع ، على الرغم من اعتداء إسرائيل على الحقوق العربية سنة بعد أخرى، ذلك أن مفردات لغة الديمقراطية كانت تجمع بين إسرائيل و الهند بينما كانت تباعد بين الهند و ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

صعد للزعامة من خلال الحركة الوطنية لا من خلال الجيش

لم يأت أحمد سوكارنو (١٩٠١-١٩٧٠) لحكم بلاده نتيجة لانقلاب عسكري ، و إنما أتى نتيجة زعامة حركة مقاومة وطنية استطاعت أن تتخلص من استعمارين متعاقبين : استعمار أقدم هو الاستعمار الهولندي (ويرتبط بإقليم من الأقاليم الإندونيسية) ، و استعمار أحدث هو الاستعمار الياباني الذي فرض نفسه على الأرض الإندونيسية المستعمرة من قبل، وذلك في خضم المواجهات الدولية العنيفة في الحرب العالمية الثانية.

قاد بلاده للتححرر من اليابان وهولندا معا

كان لأحمد سوكارنو المثقف المجاهد دور الأسد في قيادة حركة بلاده نحو التحرر من اليابان و من الهولنديين أيضا ، و هكذا استطاع سوكارنو أن يعلن استقلال إندونيسيا و أن يصبح رئيسا منتخبا لها و أن يقود حكومة منتخبا فيها و أن يقيم لها علاقاتها الدولية و الإقليمية على نحو يليق بهذا الشعب العظيم و أن يدعو ،على سبيل المثال، إلى مؤتمر باندونج .

قسوة الاستعمار الهولندي في لستنزاف الموارد

لم تكن مهمة سوكارنو في حكم إندونيسيا (١٩٤٥ - ١٩٦٧) سهلة ، لكنه بشخصيته و ثقافته و إخلاصه نجح نجاحا ساحقا رغم قلة الموارد و رغم قسوة المستعمر الذي استنزف ثروات البلاد على نحو فاق كل درجات الاستنزاف الغربي لثروات الشعوب التي احتلتها، وفي هذا الصدد فمن المتداول أن أقسى نوعين من الاستعمار كانا استعمار هولندا لإندونيسيا واستعمار البلجيكا للكونغو ، وإن تخطاهما الاستعمار الفرنسي في كثير من الأحوال مع اتساع رقعته ، ومن الإنصاف أن نذكر أن أحمد سوكارنو لم يأل جهدا في تحقيق المكاسب المقدره لبلاده و في تحقيق الخلاص التدريجي والمتوالي من كل نواحي السيطرة و الاستغلال و الاستعمار .

الانتصار الاندونيسي هو اكبر انتصار تحقق بفضل تأميم قناة السويس

من الحقائق التاريخية التي لم تكتب من قبل بهذا الوضوح ما نذكره ونذكر به من أن أكبر انتصار تحقق بفضل تأميم الرئيس جمال عبد الناصر لقناة السويس ١٩٥٦

لم يكن هو التأميم المصري و لم يكن هو بداية الانتباه الى القطبية الحاكمة لعلاقة مصر و العرب بالغرب ، فقد كان التأميم قد صيغ ونفذ بطريقة حماسية و شخصية أفقدته المزايا الاقتصادية التي كان يمكن له أن يحققها كما اضطرت مصر الى تعويض حملة الأسهم و التنازل الاضطراري عن أرصدها الدولارية و الإسترلينية في الخارج من أجل هذا، كما أن وضوح جهات الحرب و قطبيته ظل بعيدا عن الفهم العربي بسبب الأهواء الانفعالية البعيدة عن إدراك المنطق أو البناء عليه .

لم يكن الانتصار الأكبر لخطوة تأميم قناة السويس في ١٩٥٦ يتمثل في هذا و لا ذلك ، و إنما كان الانتصار الأكبر في إندونيسيا، إذ أن موجة الحماس الإسلامية و العربية أو الإفريقية الآسيوية التي حققها عبد الناصر و الإعلام العربي الموالي له و لمصر قد هيأت لأحمد سوكارنو فرصة ذهبية أعلن فيها تأميم الممتلكات الهولندية في إندونيسيا بعد أسبوع واحد من تأميم عبد الناصر لقناة السويس، و إذا جاز أن تأميم قناة السويس كان كفيلا بأن يحقق خمسين وحدة نقد إذا ما عولج بطريقة ذكية (و هو ما لم يتحقق) فإن تأميم المؤسسات الهولندية في إندونيسيا قد حقق لها ألفا من وحدات النقد أي عشرين مثلا لأقصى ما كان يمكن لمصر أن تحققه، وهكذا فإن التأميم الإندونيسي صادف نجاحا أكبر بدون حرب تذكر وكان هذا بفضل عاملين مهمين أولهما أداء سوكارنو الواثق الهادئ من ناحية ، وثانيهما أن هولندا كانت أقل نفوذا و أهمية من بريطانيا و فرنسا من ناحية أخرى.

الفرق بين سوكارنو ٥٦ و ناصر ٥٦

و هكذا فإن التاريخ الذي يكتبه أصحاب الهدف يستطيع أن يصنع فيلما مثل فيلم ناصر ٥٦ بينما لا يستطيع أن يصنع فيلما بعنوان سوكارنو ٥٦ و ذلك لأن الرغبة في الشهرة تعبير عن إرادة في جوهرها قبل أن تكون نتيجة أو إنجازا .

عبث الأدبيات الناصرية بصورة الرئيس سوكارنو

من الطريف بعد هذا كله ، بل من المهم ، أن نذكر بكل وضوح وأسى أن الأدبيات المصرية الناصرية حصرت حديثها عن سوكارنو فيما تردد عن قيام المخابرات المصرية ذات مرة من الوصول الى مخدعه وهو في أحد فنادق القاهرة، وتتنوع الكتابات عن هذه القصة ما بين مزاعم بطولية للمخابرات (كذبها مصطنع وصدقها مفتقد) في قدرتها على السيطرة على زعماء العالم عن طريق إغرائهم أو إغوائهم بالجنس و السيطرة عليهم من خلال السيدات المتعاونات، وهو أسلوب بال أو عتيق لايزال بعض الناصريين للأسف الشديد يفخر بنجاح المخابرات فيه.

وفى كتب مصرية أخرى أقل شوفونية ، فإنك تجد هذا الحديث يتظاهر بالتلطف فيذكر أن مصر الرسمية كانت تستجيب لرغبات ضيوفها الأجانب .
وفى كتب مصرية ثالثة أيضا نجد هذا الحديث عن غرام بعض القادة بالنساء والجنس مجردا من الهدف المخابراتي .

لكن الطريف بعد هذا العبث كله أنك إذا فتحت مرجعا من المراجع التي تتناول حياة أحمد سوكارنو فستجد للرجل نفسه ٩ زيجات ، وكانت ابنته السيدة الرئيسة ميجاواتي سوكارنو المولودة ١٩٤٧ والتي تولت رئاسة اندونيسيا ما بين ٢٠٠١ و٢٠٠٤ من إحدى هذه الزيجات .

ربما أنك تقرأ المعلومة للمرة الأولى ، وربما أنك معجب من حالة التكلس الشعبوي المسيطرة على تاريخنا فى العلاقات الدولية والأخوية، وما أحاط بها من فشل على جميع المستويات .

الفنان صبري راغب رسم له بورتريه

على أننا نستطيع أن نتجاوز كل هذا الرهق المصري الناصري فنذكر الجانب المضيء ، وهو أن الفنان صبري راغب رسم لوحة بورتريه للرئيس أحمد سوكارنو .

علاقة الدكتور احمد شلبي به

كان أحمد سوكارنو على علاقة شخصية وثيقة بكثير من أساتذة التاريخ و الحضارة العربية و المسلمين باعتبار بلاده جزءاً بارزاً من الحضارة الإسلامية و في هذا النطاق فقد قام مجد الدكتور أحمد شلبي أستاذ الحضارة الإسلامية و التاريخ الإسلامي في دار العلوم في الأساس على صلته القوية بهذا المجتمع الإندونيسي و على ما كان يرويه من معرفة بالرئيس سوكارنو نفسه .

وفاته

توفي الرئيس أحمد سوكارنو في ١٩٧٠ يونيو ١٩٧٠ وكان من الشائع أن المرض قد اشتد عليه منذ ١٩٦٨ .

الفصل الرابع عشر : محمد سوهارتو

الذي أضع مجد أحمد سوكارنو

سوكارنو من جيل نجيب و سوهارتو من جيل الضباط الاحرار

كان الرئيس سوكارنو من جيل الرئيس محمد نجيب فقد ولد عام ١٩٠١ (وولد الرئيس محمد نجيب أيضا عام ١٩٠١) و هكذا كانت علاقة سوكارنو بالرئيس جمال عبد الناصر المولود عام ١٩١٨ تتجاوز في أبعديتها الأولى عناصر الندية الى عناصر الأبوية، و لم يكن هذا أمرا غير معهود ، فقد كان نهرو من مواليد ١٨٨٩ و كان تيتو من مواليد ١٨٩٢ لكن علاقة سوكارنو بحكومات مصر أو بالبيريوقراطية المصرية لم تكن لها جذور طويلة تاريخيا مثل علاقة نهرو ، فقد كان نهرو يعرف مصر و الوفد و يقتدي هو و سلفه و زعيمه غاندي بالزعيمين سعد زغلول و مصطفى النحاس، وكانت المصادفة قد جعلت الفروق بينهما عشر سنوات في مصفوفة متوالية فقد ولد سعد في ١٨٥٩ و غاندي في ١٨٦٩ و النحاس في ١٨٧٩ و نهرو في ١٨٨٩

ومع هذا فإن الرئيس أحمد سوكارنو بحكم أصالته و انتمائه للإسلام أدرك صعود وازدهار تيار الوفد المصري كفكرة، و أدرك الثقافة المصرية والعربية في عصر كانت بلاده تمثل امتدادا محبوبا للمدرسة المصرية في الثقافة و الفكر حتى إنه يمكن القول بأن إندونيسيا كانت في ذلك الوقت مصرية الفؤاد و الهوى و العقل و التعليم و الكتاب، و ليس أدل على هذا من أن وزارة المعارف المصرية و مكاتب القاهرة و دور نشرها كانت هي التي تتولى إنتاج الكتب الإندونيسية المعتمد عليها في المدرسة و الجامعات و الشارع و المكاتب على حد سواء

أفاق غير معروفة من الارتباط الثقافي

كانت المؤسسة الثقافية المصرية النهضوية الأهلية أو الحرة متمثلة في مجلتي الرسالة و الثقافة و أخواتها تربط إندونيسيا بأوثق العلاقات بالنخبة الليبرالية الصاعدة في مصر في ذلك الوقت ، و كانت أيقونة هذا التوحد تتمثل في نماذج حية عديد كان منها الرئيس الإندونيسي عبد الرحمن واحد ١٩٤٠-٢٠٠٩ الذي تعلم في الأزهر و تولى الرئاسة ما بين ١٩٩٩-٢٠٠١ ، وكان من هذه النماذج الحية الشاعر العربي

الحضرمي الإندونيسي علي أحمد باكثير الذي هو واحد من أوائل من كتبوا الشعر الحر ، و الذي هو رائد المسرح الملحمي.

التحول عن نهج سوكارنو

كان في وسع الإندونيسيين أن يظل نهج أحمد سوكارنو مهيمنا على السياسة الإندونيسية طيلة عهد خلفه سوهارتو الذي جاء بعده بانقلاب هادئ صورته للناس على أنه جاء بموافقته و تسهيل الأمر له ، و لكن سوهارتو (١٩٢١ - ٢٠٠٨) كان عسكريا متلامسا بالكاد مع السياسة والوطنية و لم يكن يؤمن لا بالتأصيل ولا بالتاريخ ولا بالتمجيد .

و هكذا فإن الرئيس سوهارتو مع فترته التي طالت في حكم إندونيسيا (منذ ١٩٦٧ وحتى ١٩٩٨) كان يتصرف و كأنه حريص على أن ينفى سوكارنو من الوجود المعنوي شأنه شأن كل عسكري لا يؤمن إلا بنفسه ولا يؤمن إلا بالحظة، و فضلا عن أن سوهارتو نفسه حتى و إن كان تنفيذيا ناجحا فإنه لم يكن رجل حضارة ولا رجل حركة وطنية ، و لم يكن له أن يفهم ما يمثله منصبه في دولة مثل إندونيسيا بمكانتها المتقدمة في العالم الإسلامي و العالم الآسيوي .

التودد للاتحاد السوفييتي

و قد وجد الرئيس سوهارتو نفسه مثل كل معاصريه ينزلق من التودد المحسوب للاتحاد السوفييتي الى السير في ركابه ثم يغير اتجاهه الى تقبل الوجود الأمريكي و يتحرك من مواقف تقلل من قيمة الاستقلال في حد ذاتها ، بل كان يتحرك إلى مواقف أخرى لا تمنع في المحاور .

كان ضحية للإصابة بخرافات من قبيل تحديد النسل

و كان الرئيس سوهارتو شأنه شأن الرؤساء العسكريين والساسة من قصيري النظر ضحية للإصابة بخرافات من قبيل الاندفاع الى الايمان بجذوى سياسات تحديد النسل و أهمية هذا التحديد للتنمية استنادا إلى ما نعتبره من الهراء ، نقصد المونولوج المتمثل في نظرية القنبلة السكانية ... الخ و قد سمح لأمریکا أن تمارس سياسات تعقيم الشعب الإندونيسي من أجل تقليل أعدادهم، على نحو ما فعلت في كثير من البلدان الإسلامية تحت شعارات براقعة من قبيل مكافحة المجاعة أو تخطيط التنمية أو التوافق أو التعاون مع سياسات صندوق النقد الدولي.

كيف أضاع كل مجد سوكارنو

وعلى هذا النحو ، أضاع الرئيس سوهارتو كثيرا من ميراث الرئيس أحمد سوكارنو الوطني المتدفق أصالة ووطنية وإسلاما وشرقية، ولما طالت فترة الرئيس سوهارتو كانت كفيلة مع الزمن بما أسميناها إبعاد اسم سوكارنو عن مكانته التي يستحقها عن جدارة كرجل إندونيسيا القومي العظيم.

نهاية سينة

لكن دهاء التاريخ يصح كثيرا من الأوضاع، فإذا عهد سوهارتو ينتهي نهاية تدينه ولا تشرفه، وتنتصر التوجهات التي كان الرئيس سوكارنو نفسه أول من ألقى ببذورها ونمّا جذورها ، ويعود الحديث عما كان الرئيس سوكارنو يتحدث عنه ، بل إن ابنة سوكارنو ميجاواتي تفوز برئاسة إندونيسيا في انتخابات حرة وتصبح هي الرئيسة الرابعة لإندونيسيا، وتعيش إندونيسيا السنوات العشرين الماضية في تفاعلات إيجابية متوالية تمكنها مرة بعد أخرى أن تتجاوز أخطاء سوهارتو القاتلة، وأن تستعيد هويتها الإسلامية شيئا فشيئا، وأن تستعيد أيضا مكانتها الدولية بين كبريات دول العالم باقتصاد منتج، وعلاقات اقتصادية قائمة على الاستثمار والتعاون ، لتصبح إندونيسيا كما كانت في عهد أحمد سوكارنو حرة طليقة ، بل طليعة آسيوية رائدة وواعدة.

لماذا كانت تسمى اندونيسيا بجزر الهند الشرقية

بقي حديث مهم وهو أن إندونيسيا في بعض المراجع التاريخية لا تعرف بهذا الاسم ، فقد كانت تسمى بجزر الهند الشرقية، بينما جزر الهند الغربية موجودة في أمريكا اللاتينية، وقد اصطلح على أن اسم الهند هو الأقرب لتسمية أي قطر آسيوي بعد العرب والفرس والأفغان وقبل الصين واليابان ، ولهذا فلا تعجب إذا قلت لك إن اسم إندونيسيا في المراجع الأوروبية كان : جزر الهند الشرقية.

علاقة اندونيسيا بماليزيا

نتطرق أخيرا إلى موضوع يثير اهتمام التاريخ ، وهو علاقة إندونيسيا بماليزيا التي هي علاقة الكل بالجزء المنتزع من الكل، وأحب أن أذكر لك أن أحمد سوكارنو لم يكن (بالطبع) موافقا على استقلال ماليزيا عن إندونيسيا بل انه اتخذ إجراءات شديدة الصرامة في مواجهة الأمم المتحدة نفسها ، حتى إنه انسحب من بعض أنشطتها احتجاجا على اعتراف إحدى لجانها بماليزيا، لكن حدث ما حدث ، واستقلت ماليزيا ثم تكرر مثل هذا في سنغافورة التي استقلت عن ماليزيا .

المحتويات

إهداء.....	ERROR! BOOKMARK NOT DEFINED.
هذا الكتاب.....	٧
الباب الأول العراق.....	١١
الفصل الأول عبد الكريم قاسم.....	١١
الماركسي الذي أشعل النار في الناصرية فأضاء طريق البعث.....	١١
الرئيس عبد الناصر أخلص في عداوته لعبد الكريم قاسم.....	١١
بالتحليل السيكولوجي لموقفه كان مصيبا ومعدورا.....	١١
الظروف كانت تهيئ للرئيس عبد الكريم قاسم حاضرا لا يقل مجدا.....	١٢
الرئيس عبد الناصر فوجئ مفاجأة مبهجة بثورة العراق.....	١٢
دولة الوحدة جعلت الرئيس عبد الناصر على حدود الناتو.....	١٢
العراق نقطة الارتكاز فيما كان يُسمّى بحلف "السنثو".....	١٢
القوميات غير العربية.....	١٣
العجز عن الاستفادة من الوضع الجديد.....	١٣
النظام المصري كان لا يزال قطريا.....	١٣
عبد الكريم قاسم كادر ماركسي متميز لم يكن يقبل بما هو مطلوب منه.....	١٤
الترحيب لا يعني الملكية.....	١٤
الرئيس عبد الناصر لم يكن ليقبل بتهديد زعامته.....	١٥
ضرية انقلابية ضخمة لنظام الرئيس عبد الكريم قاسم.....	١٥
قاسم يقصف الحامية التي كانت تضم قوات العقيد الشواف.....	١٥
الإعدادات.....	١٦
إبعاد عبد السلام عارف.....	١٦
مشاركة الرئيس صدام حسين في محاولة لاغتيال قاسم.....	١٧
نجاحات قاسم السياسية السريعة.....	١٧
قسوته في معاملة العائلة المالكة.....	١٧
إنجازات قاسم الاقتصادية.....	١٧
دعم حركات تحرير ساحل عمان والجنوب.....	١٨
دعوته الذكية إلى إنشاء دولة فلسطينية.....	١٨
دوره في خلق مناخ شجع على الانفصال السوري.....	١٨
نمو الخوف من الماركسية.....	١٨
توحد الاتجاهات القومية والبعثية ضد قاسم.....	١٩
البعث أفاد من النتائج الصادمة لصراع الزعيمين.....	١٩
الروح البعثية ازدهرت على يد عدو ماركسي للبعث هو قاسم.....	١٩

٢٠.....	الشخص يُزِيل الشخص لكن الفكرة تبقى.....
٢٠.....	نهايات متوقعة.....
٢١.....	الفصل الثاني : الرئيس عبد السلام عارف
٢١.....	الذي توسط للشهيد سيد قطب فاستشهد قبله
٢١.....	النقطة مفصلية التي مثلها.....
٢١.....	التجربة الأولى : هي تجربة العُربة المكتملة.....
٢١.....	التجربة الثانية : هي تجربة السجن.....
٢١.....	التجربة الثالثة : تتعلق بنقد الذات والنضج الانفعالي.....
٢٢.....	وصوله للرئاسة = انتصار البعث والقوميين على الشيوعيين.....
٢٢.....	موجز تصنيفات الستينات.....
٢٢.....	معنى انقلاب صاحب السلطة.....
٢٣.....	موقف الناصرية الحائر.....
٢٣.....	مرحلة تداول السلطة بين البعثيين.....
٢٣.....	تحول السلطة في العالم العربي.....
٢٤.....	قصة توسطه الأول للشهيد سيد قطب.....
٢٤.....	ماذا بقي من عبد السلام عارف!.....
٢٤.....	هل استفاد من نتائج تجربة الرئيس عبد الناصر.....
٢٥.....	تفوقه على كل العسكريين العرب بلا استثناء.....
٢٥.....	صورته الأولى التي تطورت سريعا.....
٢٥.....	عضويته في تنظيم ثورة ١٩٤١ بقيادة رشيد عالي الكيلاني.....
٢٦.....	تعدد النجاحات التي حققها الرئيس عبد السلام عارف.....
٢٦.....	موقفه الذكي والمخلص من الأكراد.....
٢٦.....	موقفه المستوعب مع الأكراد.....
٢٧.....	إيمانه العميق بفكرة الوحدة الوطنية.....
٢٧.....	الدولة القوية بالسلح في عهد الرئيس عبد السلام عارف.....
٢٧.....	اهتمامه بالعلم والتكنولوجيا والإعلام.....
٢٨.....	محاولة استنساخه للأزهر.....
٢٨.....	نجاحه في استكمال المقومات الاقتصادية والمعرفية للاستقلال.....
٢٨.....	اهتمامه بالرياضة والفن.....
٢٨.....	التوفيق بين الإسلام و نزعات العدالة.....
٢٩.....	مكانته في تاريخ الفكرتين الإسلامية والعروبية.....
٣٠.....	زيارة الكويت.....
٣٠.....	دعم ثورة اليمن و نظام عبد الله السلال.....
٣٠.....	محاولات الانتقاص من إنجازاته وتوجهاته العربية.....

٣٠.....	المفارقة في علاقته بعبد الكريم قاسم
٣١.....	إعدام عبد الكريم قاسم
٣١.....	الثأر من أسرته.....
٣١.....	تأريخ الأستاذ أحمد نوري لحياته
٣٢.....	الفصل الثالث عبد الرحمن عارف
٣٢.....	الرئيس العربي الوحيد الذي أدى دور الملك الدستوري
٣٢.....	حل من الحلول الوسطى
٣٢.....	أسباب تفضيل المصريين للرئيس عبد الرحمن عارف.....
٣٣.....	إجراء انتخابات تفضيلية بين عبد الرحمن عارف وعبد الرحمن البزاز.....
٣٣.....	نشأته و مناصبه العسكرية.....
٣٣.....	استمرار سياسة شقيقه عبد السلام
٣٣.....	الالتزام والانتماء.....
٣٤.....	إخلاصه هو سبب التخلص منه
٣٤.....	وضوح الفكرة القائلة بأن القوى الغربية لا تريد للعراق الاستقرار.....
٣٥.....	عظمة موقف الجيش العراقي في حرب ١٩٦٧
٣٥.....	هروب الجاسوس الطيار منير روبا بالطائرة السوفيتية
٣٦.....	التطور الذي لسياسات التسليح العراقي
٣٦.....	اتساق نهاية عهد الرئيس عبد الرحمن عارف مع الموازين الدولية
٣٦.....	اعتزاله الصادق للسياسة
٣٦.....	نجاته من أمراض الكاريزما
٣٧.....	عودته من المنفى
٣٨.....	الفصل الرابع : الرئيس أحمد حسن البكر
٣٨.....	هل كان أفضل رؤساء العراق حقا ؟
٣٨.....	نال الرئاسة تدريجيا بثلاثة انقلابات عسكرية متوالية
٣٨.....	نشأته
٣٩.....	اشتراكه في انقلاب ١٩٤١
٣٩.....	اشتراكه في انقلاب ١٩٥٨
٣٩.....	نجاحه في انقلاب فبراير ١٩٦٣
٤٠.....	اختلافه مع الرئيس عارف و تركه الحكم
٤٠.....	نجاحه في قيادة انقلاب يوليو ١٩٦٨
٤٠.....	عودته للسلطة وتولييه رئاسة الجمهورية
٤٠.....	الحرص المريب على طمس أعظم إنجازاته
٤١.....	الثقل القومي الذي اكتسبه العراق بمواقفه

٤١.....	الفضل يعود إلى وعي الرئيس أحمد حسن البكر المُبكر بالصراع
٤١.....	ذكاؤه في صياغة التوازنات الدولية.....
٤١.....	التنمية الناجحة
٤١.....	خبرته العالية في التعامل مع شركات النفط العالمية.....
٤٢.....	علاقة عدنان خير الله به وبالرئيس صدام
٤٢.....	مناصبه التنفيذية والحزبية
٤٢.....	وفاته
٤٣.....	الباب الثاني : اليمن
٤٣.....	الفصل الخامس : الإمام أحمد ملك اليمن
٤٣.....	و انتقاده التجربة الناصرية في أرجوزة متعقلة
٤٣.....	التعريف بالإمام أحمد ملك اليمن
٤٣.....	مديح العرب و الحث على وحدة الصف
٤٤.....	ضرورة الوحدة في مواجهة العدو
٤٤.....	استنكار الشقاق
٤٤.....	بعض العرب أصبحوا لعنة في جبهة السماء
٤٥.....	هل من عودة الى الصواب والحق و صفاء النفس
٤٥.....	عيوب الاتجاه الاشتراكي الذي يفخر به الرئيس عبد الناصر.....
٤٦.....	الأخلاق الكريمة تحقق الاستقرار وتمحو الآثام
٤٧.....	الفصل السادس : محمد محمود الزيري
٤٧.....	زعيم اليمن الشهيد الذي هو أعظم الساسة العرب ثقافة
٤٧.....	رمز الثورة للحق وبالحق
٤٧.....	أسرته العريقة
٤٨.....	التقدمية في فكره السياسي والاجتماعي
٤٨.....	صداقاته وانتماءاته الصادقة للمثقفين
٤٩.....	النهج الإسلامي في الفكر السياسي اليمني
٤٩.....	لقاؤه بالإمام الشهيد حسن البنا
٤٩.....	بداية جهاده : السجن
٥٠.....	أولى ثورات اليمن
٥٠.....	المنفى الاختياري في باكستان
٥٠.....	العودة للقاهرة
٥٠.....	انقلاب الضابط أحمد الثلايا
٥١.....	ثورة ١٩٦٢
٥١.....	فكرة حزب الله

أثاره	٥٢
دواوينه الشعرية المطبوعة ثلاثة:	٥٢
أما مؤلفاته السياسية فمنها:	٥٢
وهذا هو نص القصيدة السينية الشهيرة	٥٢
مدعو الثورية يقلدون الامام في كل شيء	٥٢
الخداع لا يفيد	٥٣
انتم طبعة جديدة منقحة من الظلم	٥٣
قانونكم مهزلة	٥٣
قصيدته ثورة	٥٣
ثورة البراكين	٥٤
القيود أصبحت سهاما	٥٤
قصيدته بعد خروجه من السجن	٥٤
قصيدة عن الوطن الفلسطيني السليب : (في سبيل فلسطين):	٥٤
من قصيدته في وصف حال الشعب اليمني	٥٤
ومن قصيدة له في محاربة الظلم	٥٥
دراسات عن الزيري	٥٥
الفصل السابع : الشاعر أحمد النعمان	٥٦
الزعيم اليمني الذي قهر الناصرية بالشعر الساخر	٥٦
نشأته	٥٦
اختتمار الثورة في القاهرة	٥٦
عصر المشير السلال	٥٧
فيما بعد السلال	٥٧
قصيدته عن سجون الرئيس عبد الناصر	٥٧
قسوة السجان وجبنه	٥٨
السجن مدرسة للإيمان	٥٨
أمنيته أصبحت هي شكواه	٥٩
نذالة السجان	٥٩
الرئيس حظر الصوت والأنين والتنفس	٥٩
قراءة القرآن من الذاكرة	٥٩
مذكراته	٦٠
حياته الطويلة في التقاعد و وفاته	٦١
الفصل الثامن : قحطان الشعبي	٦٢
الزعيم اليمني الذي ضيعه المصريون وضيعوا اليمن معه	٦٢

٦٢.....	لولا توقف النزق الناصري بعد ١٩٦٧
٦٣.....	تعسف النظام الناصري بتقييد حرية قحطان الشعبي
٦٣.....	قاد خطوات بلاده نحو إعلان الاستقلال
٦٣.....	أعلن استقلال الدولة التي أصبح هو نفسه رئيسها
٦٤.....	نشأته العربية الأصيلة
٦٤.....	دراسته في السودان
٦٤.....	كفايته في مناصبه العليا
٦٥.....	رابطة أبناء الجنوب
٦٥.....	الهرب عبر تعز إلى القاهرة
٦٥.....	مع فيصل الشعبي في حركة القوميين العرب
٦٥.....	كتابه الأشهر عن الاستعمار البريطاني و جنوب اليمن
٦٦.....	أمين عام الجبهة القومية لجنوب اليمن
٦٦.....	تحرش القيادات المصرية
٦٦.....	مصر تعلن عن قيام جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل
٦٧.....	مصر تحتجز قحطان الشعبي و فيصل عبد اللطيف
٦٧.....	الرئيس عبد الناصر يستقبله و يعتذر له
٦٧.....	تضاؤل دور جبهة التحرير الموالية لمصر
٦٧.....	اتفاقية الاستقلال
٦٧.....	الانقلاب الغادر
٦٨.....	صموده في مواجهة اعتقاله ١١ عاما مع التعذيب
٦٨.....	أسرته
٦٨.....	وفاته
٦٨.....	جنازته
٦٩.....	الفصل التاسع : سالمين أو على سالم ربيع
٦٩.....	أول الانقلابيين اليمنيين الماركسيين
٦٩.....	أول زعماء الانقلابات الماركسية
٦٩.....	تداولوا السلطة السياسية بالدم
٧٠.....	تعاقب الرؤساء الخمسة
٧٠.....	من جيل واحد
٧٠.....	الحرص الماركسي على كتابة التاريخ
٧١.....	إعدامه بعد أربعة أيام من الانقلاب عليه
٧١.....	بداياته في جبهة التحرير
٧١.....	توجه الجبهة الى العمل السري
٧١.....	قيادته للجناح اليساري

٧٢	ظاهرة التشظي الماركسي
٧٢	رؤساء الوزراء الذين عملوا معه
٧٢	ماذا تم في اليمن الجنوبي في عهد سالمين؟
٧٣	كيف تم الانقراض عليه
٧٣	دور عبد الفتاح إسماعيل في الانقلاب
٧٣	استيلاء الجوانب المسرحية و الاستعراضية في الانقلاب
٧٤	الرئيس سالمين يستسلم
٧٤	الإعدام بدون محاكمة
٧٤	رواية المرقشي عن اعدام سالمين
٧٤	علاقة الانقلاب باغتيال رئيسي اليمن الحمدي و الغشمي
٧٥	بقيت له سمعته الطيبة
٧٥	الانفتاح الغربي
٧٥	تخليصنا للأمر على أنه من المراهقة الفكرية
٧٦	الباب الثالث المستشارون العرب والبريطانيون
٧٦	الفصل العاشر : الشيخ حافظ وهبة
٧٦	السياسي المصري الكويتي السعودي
٧٦	الاعتماد المبكر للسعوديين على الخبرات العابرة للوطنية
٧٦	الأعلام الذين زاملهم الشيخ حافظ وهبة
٧٧	درس في مدرسة القضاء الشرعي
٧٧	الاحتلال الانجليزي يضطره للهرب الى الكويت
٧٧	بداية معرفته بالملك عبد العزيز
٧٧	البلاط الملكي السعودي من قبل نشأته
٧٨	السفير السعودي في لندن
٧٨	تصميم العلم السعودي
٧٨	أسرته
٧٩	الفصل الحادي عشر : الشيخ عبد الله فيلي
٧٩	صاحب المشورة في ثلاث دول عربية
٧٩	هارى سان جون بريدجر فيلي
٧٩	التفاوت في تقديره ، تاريخ لا يصرح الا من خلال رد الفعل
٧٩	التشكيك في مصداقية الدور الذي لعبه أيُّ مُستشار
٨٠	الإشكاليات في تمييز المستشار من الجاسوس
٨٠	تكوينه العلمي والعسكري
٨٠	بدأ حياته في الهند

- ٨٠..... ابن عم المارشال موننجومري
- ٨١..... المقارنة المستدعاة بينه وبين لورنس العرب
- ٨١..... النشاشيبي يرى أنه نجح فيما عجز عنه زميله وصديقه لورنس
- ٨١..... رأي عبد الله فيليبي نفسه في لورنس
- ٨٢..... تصوير الأستاذ النشاشيبي لمجمل تاريخه
- ٨٢..... مكانته في ثلاثة أقطار عربية
- ٨٣..... لقاءه مع الرحالة المشهورة روزيتا فوربس
- ٨٣..... رحلة فوربس معه ومع عائلته الى البتراء
- ٨٣..... وصوله للسعودية و استحواذه على ثقة الملك عبد العزيز
- ٨٤..... عمله في تجارة السيارات والراديو
- ٨٤..... إعلانه إسلامه
- ٨٤..... الخدمات التي قدمها للسعوديين
- ٨٥..... طرده من السعودية وعودته اليها
- ٨٦..... **الفصل الثاني عشر : جلوب باشا**
- ٨٦..... **الذي اختاره العرب كي ينهزموا بقيادته في ١٩٤٨**
- ٨٦..... كان شابا في صورة شيخ
- ٨٦..... قيمته العسكرية
- ٨٧..... الجيش الأردني تحت قيادته قبل حرب ١٩٤٨
- ٨٧..... الوقوف مع ديغول ضد حكومة فيشي
- ٨٨..... بداياته العسكرية قبل قيادته للجيش الأردني
- ٨٨..... من العراق الى الأردن
- ٨٩..... صداقته للملك عبد الله
- ٨٩..... ملازمته للملك الا في يوم اغتياله
- ٨٩..... هل ذابت شخصية جلوب باشا في المجتمع العربي ؟
- ٩٠..... النشاشيبي يرى أنه عاش بشخصيتين
- ٩٠..... تصوير العرب لخيانة جلوب باشا في حرب فلسطين
- ٩٠..... الانسحاب المريب قبل الحرب
- ٩١..... قبوله بتخفيض عدد أفراد الجيش الأردني
- ٩١..... القادة العرب مهما كانوا اقل سوءا من جلوب
- ٩١..... طرده كزس الفرق بين الملك حسين وجده الملك عبد الله
- ٩١..... تخاذله في حماية الفلسطينيين من المذابح
- ٩٢..... ما بين نكبة ١٩٤٨ و عزله من قيادة الجيش في ١٩٥٦
- ٩٣..... ثورة الضباط الأردنيين وخلصهم من قائدهم جلوب باشا
- ٩٣..... دور اللواء علي أبو نوار

- ٩٤..... ذكريات المدادحة وزير الدفاع الذي ودعه عند إقالته
- ٩٥..... كتاباته المناوئة للعهد الجديد في الأردن
- ٩٥..... صورته الانطباعية في ذاكرة العرب
- ٩٦..... الباب الرابع : إندونيسيا
- ٩٦..... الفصل الثالث عشر : أحمد سوكارنو
- ٩٦..... الذي سلبه الناصريون فضله في تأسيس حركة عدم الانحياز
- ٩٦..... كان الاب الروحي لعدم الانحياز
- ٩٦..... أصبح على أقل تقدير من أقطاب عدم الانحياز الخمسة او السبعة
- ٩٧..... صعد للزعامة من خلال الحركة الوطنية لا من خلال الجيش
- ٩٧..... قاد بلاده للتحرر من اليابان وهولندا معا
- ٩٧..... قسوة الاستعمار الهولندي في لستنزاف الموارد
- ٩٧..... الانتصار الاندونيسي هو اكبر انتصار تحقق بفضل تأمين قناة السويس
- ٩٨..... الفرق بين سوكارنو ٥٦ وناصر ٥٦
- ٩٨..... عبث الأدبيات الناصرية بصورة الرئيس سوكارنو
- ٩٩..... الفنان صبري راغب رسم له بورتريه
- ٩٩..... علاقة الدكتور احمد شلبي به
- ١٠٠..... الفصل الرابع عشر : محمد سوهارتو
- ١٠٠..... الذي أضاع مجد أحمد سوكارنو
- ١٠٠..... سوكارنو من جيل نجيب و سوهارتو من جيل الضباط الاحرار
- ١٠٠..... آفاق غير معروفة من الارتباط الثقافي
- ١٠١..... التحول عن نهج سوكارنو
- ١٠١..... التودد للاتحاد السوفيتي
- ١٠١..... كان ضحية للإصابة بخراقات من قبيل تحديد النسل
- ١٠٢..... كيف أضاع كل مجد سوكارنو
- ١٠٢..... نهاية سيئة
- ١٠٢..... لماذا كانت تسمى اندونيسيا بجزر الهند الشرقية
- ١٠٢..... علاقة اندونيسيا بماليزيا

Prof. Mohamed El Gawady

ISIN : 0000 0001 2122 604X

**On The Borders of
The Arabic Peninsula**





هذه مجموعة من الفصول التاريخية التي تحاول أن تستبطن بعض جوانب التاريخ العربي المعاصر لتستبصر ذلك التاريخ بعد أن اتضحت كثير من زوايا المعالم الخفية التي أثرت في صياغة رواياته من دون أن يصرح وجودها الفاعل نفسه بالجواهر في حقيقتها، ومن ثم فإنه في أحيان غير قليلة ظهرت الخيانة على أنها كفاح، وظهر الجهاد على أنه حماقة، وظهر الولاء على أنه رجعية، وظهرت الحماسة على أنها حماسة، وظهرت العمالة على أنها وطنية كما ظهرت الوطنية وكأنها عمالة.

